الحركة الإسلامية في العراق، والمجلس الأعلى، والتبعية لإيران

بعد مجيء الثورة الإيرانية كانت القضية العراقية من اهتمام المسؤولين الإيرانيين على أعلى المستويات من قيادتها خميني، الذي لجأ إلى العراق، وعاش لاجئًا لمدة تنيف على ١٤ عامًا، وحتى مراجعها الذين درسوا في حوزات العراق من الكاظمية وكربلاء وسامراء والنجف وغيرها، حتى تزوج البعض من العوائل العراقية المعروفة بطيبتها. فضلًا عن تأثير وأهمية العراق الجيو-سياسي وعمقه العربي. لكن العجيب الغريب هو سيطرة الدعاية الإيرانية وعلمائها الفرس على المفاصل الأساسية، خصوصًا في النجف وكربلاء لدرجة الاستخفاف بالعلماء العرب العراقيين: كالشهيد محمد باقر الصدر، وحتى شهادته، حيث وزعت الحوزات العلمية الحلوى فرحًا بالخلاص من المنافس الشريف، الذي اتهم بالخروج عن المألوف والاختلاط بالفقراء وحوائجهم. ولم يغب في سراديب النجف وفسادها. لذلك أطلقت عليه المرجعيات الفارسية وأتباعها ألقابا: مثل السطل والوهابي والعميل. كان الصغير في المرجعيات الفارسية يعدونه مجتهدًا كبيرًا وعالمًا جهبذًا، بينما الصدر (مؤلف فلسفتنا واقتصادنا والأسس المنطقية...عن كتاب التشيع العربي والتشيع الفارسي)، يعدونه مشكوكًا في علمه واجتهاده، خصوصًا حاشية المرجعية العليا في تسقيط

المنافسين الشرفاء الوطنيين العراقيين. هكذا كانت السطوة الفارسية في العنجهية، لفرض المرجعيات الفارسية، وتسقيط المرجعيات العربية.
كان مكتب حركات التحرر التابع للشيخ حسين علي منتظري، فيه فرع (مكتب العراق) الذي سيطر عليه وعلى الإذاعة آنذاك: الخط الشيرازي، ومنظمة العمل الإسلامي للمدرسي. وقد ضرب هذا الخط كليًّا بعد أفول أمرين: أولًا منتظري، واتهام متعلقيه، خصوصًا مهدي هاشمي شقيق صهر المنتظري، والرئيس السابق لمكتب دائرة حركات التحرر في الحرس الثوري الإيراني، (التي تهدف لإسقاط الأنظمة العربية، وجعلها تابعة لولاية الفقيه)، ومبدأ تصدير الثورة الإيرانية واتهامه بقضايا زعمها رفسنجاني وخامنئي وأحمد الخميني (في كتابه الفارسي رنجنامه)، لإزاحة المنتظري من خلافة ولي الفقيه، خصوصًا بعد فضيحة رفسنجاني وارتباطه مع المسؤول الأمريكي مكفرلين في ارتباط المسؤولين الإيرانيين بأجهزة المخابرات الأمريكية، وثانيًا أفول محمد الشيرازي الذي كان يقدس الخميني في كربلاء والكويت، لكنه تحول إلى الإقامة الجبرية في إيران لمعارضته ولاية الفقية، وطرحه (شورى الفقهاء) بديلًا عن ولاية الفقيه لشخص يتحول إلى دكتاتور، كما حصل أيضًا لمراجع آخرين، مثل شريعتمداري والقمي والروحاني والمامقاني والخاقاني والكركي في الإقامة الجبرية، ومنع زياراتهم ولقاءاتهم، وكل من يعترض على ولي الفقيه أو ولايته.
أما حزب الدعوة، فإن الكثير من قيادته إيرانية الجنسية والهوى، مثل مرتضى العسكري (زعيم الحزب في مرحلته الثالثة، كما شرحت سابقًا في تاريخ حزب الدعوة)، ومحمد مهدي الآصفي (حاليا يمثل ولي الفقيه

في العراق بعد أن كان الأمين العام لحزب الدعوة قبل تسليمها لإبراهيم الجعفري وغيرهم كثير). فقد تهيأت للدعاة معسكر الأهواز، وانطلاق العمليات العسكرية، التي قتلت الآلاف من الأبرياء العراقيين في مؤسسات الدولة العراقية. وكانت العمليات تنطلق من الحدود الإيرانية العراقية، فقد اشتركت في عمليات الداخل، وكذلك الكثير من عمليات الحرب بين العراق وإيران، فضلًا عن مكاتب سورية ومسؤولها نوري كامل المالكي. هذا كله إضافة إلى مؤسسات ومكاتب وبيوت وجوازات، تهيؤها أجهزة المخابرات الإيرانية والسورية وغيرهما. لكن مشكلتين أساسيتين أضعفت الدعاة، أولاهما أن المسؤولين على معسكر الأهواز وغيره: كحسين بركة الشامي (الذي استحوذ أخيرًا على جامعة البكر العريقة)، وتورطهم في تسليم ما يسمى بالمجاهدين بصفقات مشبوهة وقصة أبي حوراء، (مسؤول عمليات الداخل)، واتضاح عمالة قيادات الدعوة لأجهزة المخابرات العالمية من خلال وثائق خصوصًا السفارة الأمريكية في طهران، وأجهزة السافاك مما أدى على التحجير على مرتضى العسكري، (الذي كان يقود الحملة السيئة ضد المفكر الاجتماعي علي شريعتي)، ولجوء حسين الشامي وإبراهيم أشيقر (الملقب خطأ بالجعفري) وغيرهم إلى لندن، وغير ذلك من قضايا يخاف الدعاة كشفها، ونشر حقائقهم، لمعرفة العالم، لأنهم خفافيش الظلام، ويعملون تقية وسرًّا... محمد باقر الحكيم كان مترددًا في المجئ لإيران باعتبار العلاقة التاريخية بين الشاه رضا بهلوي وآل الحكيم، خصوصًا المرجع الفارسي محسن الحكيم الطباطبائي الإصفهاني.

وللتاريخ نشهد: لقد دخلت على إحدى قياداتهم الخارجية الخلفية المهمة في إحدى دول الخارج، فرأيت صورة الشاه كبيرة خلفه في مكتبه. قلت له: (لقد سقط الشاه). أجابني: (سيعود قريبًا الوفي الكريم). هكذا كانت علاقتهم المتينة بالشاه، كما في الوثائق البريطانية، حيث كان الشاه يدعم الحكيم ماديًّا ومعنويًّا.

عرف آل الحكيم بالعلاقة التاريخية والإستراتيجية بالحكام: كالشاه، وها هي الرسائل المتبادلة والمبالغ الضخمة واضحة، كما اشتهرت علاقتهم بالتجار الفجار والمترفين والبرجوازيين، وبعدهم عن الفقراء والمحرومين...

وأما زواجاتهم وبيوتهم وترفهم كالطواغيت والجبابرة الفراعنة. بعد تردد طويل خوفًا من الانتقام والقتل، فكر باقر الحكيم في الهجرة إلى لبنان أو غيره، لكن الإشارات والرسائل من طهران كانت هي الأقوى، لدرجة (القرار الصعب دون بديل مناسب)، كما قال لي باقر الحكيم شخصيًّا: (راجع كتابي الحركة الإسلامية في العراق). علمًا أن الحكيم هو الرجل الثاني في المرحلة الأولى من الدعوة، وقد خرج عام ١٩٦٠ بعد طلب أستاذه محمد باقر الصدر، كما شرحت في تاريخ حزب الدعوة وتأسيسه. حزب الدعوة الذي كشفت بعض أسراره وفساده أراد رمزًا لمشكلة القيادة والزعامة المزمنة للدعاة، فاستقبل الدعاةُ الحكيمَ في وقت مشحون عاطفيًّا زمن اشتعال الحرب بين العراق وإيران، وتهجير صدام للآلاف إلى إيران. وكان الناس يتوهّمون أن باقر

الحكيم هو قائد حزب الدعوة، وحتى الداخل العراقي كان يتوهم ذلك. إذن حصل إلتقاء المصالح والزواج المؤقت بين محمد باقر الحكيم من جهة وبين الإسلاميين الآخرين: كحزب الدعوة من جهة أخرى. ظهر ذلك في استقبال للحكيم في طهران وقم عند أزمة القيادة المزمنة للحركة الإسلامية العراقية في إيران. إنها الفتنة التي يسقط فيها الإسلاميون عادة، وهي حب القيادة والزعامة الى الدرجة الصنمية، التي تعبدالصنم من دون الله. فالإسلامي قد يكون مستعدًّا أن يسحق كل المبادئ تحت قدميه من أجل السلطة والمال والنساء والدنيا. لكن هذه العلاقة والزواج المؤقت قد أصابها الفتور الكبير، وانفسخ الزواج المؤقت بعد لقاء الحكيم مع القيادات الإيرانية، وولاية الفقيه خميني نفسه، وذوبانه في تأييدها إلى درجة الغلو، وتخليه عن التزاماته مع رفاقه الآخرين من الدعاة وغيرهم. خصوصًا أن الحكيم إيراني الجنسية والأصل من أصفهان، والذوبان في ولاية الفقيه مما جعل الإيرانيين يرجحونه، ويكافئونه بالدعم والتأييد الكبيرين، لدرجة قد تفوق تأييد حزب الله في لبنان، كما قال باقر الحكيم نفسه لي في جلسة خاصة، (مذكرات الحركة الإسلامية في العراق): استطاع الإيرانيون أن يستفيدوا من الحكيم، (الذي كان متحدثًا جيدًا ذائبًا في خميني والثورة الإيرانية)، في مواقع كثيرة ومشهودة، خصوصًا للانفتاح على العرب، وفي المؤتمرات والبعثات الدولية، وفي الحرب العراقية الإيرانية، فلم يؤيد إيران من الدول العربية، سوى سوريا البعث، (لانشقاق البعث نفسه إلى اليسار واليمين، العراق وسوريا)، وكذلك القذافي الذي دعم الإيرانيين.

كانت الحكومة الإيرانية قد أعطت باقر الحكيم بيتًا عظيمًا في قلب طهران. الظاهر كان بيتًا لتاجر لم يؤيد الحكومة الإيرانية، مما جعلها تصادره، كما صادرت آلاف البيوت والممتلكات لمن يعارضها، بحجة محاربة الله ورسوله. هكذا يستخف ولاية الفقيه، وما يسمى بـ»الحكم الإلهي» بمصادرة حقوق الناس وأموالهم، لكن الله تعالى بريء ممن يتحرك ظلمًا باسمه. دعاني باقر الحكيم إلى بيته مرة، فتفاجأت بكونه بيتًا جبارًا طاغوتيًّا، فسألته عن ذلك مستغربًا قائلاً: (إن بيت علي بن أبي طالب كان بسيطًا). وأجابني: (إنه بيت لأحد معارضي الحكومة الإسلامية، وقد لجأ إلى دول الكفر). فقلت له: (وهل يجوز الصلاة في مكان مغصوب لا يرضى صاحبه؟). فنظر إليَّ نظرة متعجب قائلًا: (لم يسألني أحد هذا السؤال من قبل!). قلت له: (لأن حاشيتك ممن لا يعترض عليك أبدًا، كما أنها لا تعرض الحقائق. اخرج بنفسك، لترى الحقائق ومحنة العراقيين الكبيرة، ومعاناتهم الشديدة في إيران). تأسس (مكتب العراق)، ثم (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٨٢ برعاية مباشرة من أجهزة المخابرات الإيرانية، حيث يشرف جهاز إيراني بحت يسمى (بشتباني) فضلًا عن ممثل ولي الفقيه، الذي كان أحيانًا علي خامنئي نفسه (ولي الفقيه المعاصر)، الذي قد يرفض حتى الورقة البسيطة لإذلال العراقيين، وطريقة تعامل غير أخلاقية، كان يشكو لي منها الحكيم نفسه مرارًا. وهي طبيعة مزمنة للإيرانيين بسبب عقدة النقص عندهم من الشخصية العراقية: وفكرها وقوتها وتاريخها، فضلًا عن العنصرية الفارسية ضد العرب عمومًا والعراقيين خصوصًا بسبب عوامل عديدة، ومنها

الحرب الضارية بين إيران والعراق. علمًا أنه ليس من حق العراقي في إيران أن يعمل أو يتزوج أو أي حق آخر.. كانت محنة كبيرة وعظيمة لآلاف العراقيين في دولة تدعي الإسلام بالاسم فقط، وتطبق أعلى أنواع العنف والدكتاتورية والعنصرية، والبعد عن حقوق الإنسان، فيكفي أن تهين المقابل بتسميته عراقيًّا، وتعني وقتها في العرف الفارسي صداميًّا، برؤيتهم الخاصة. نعم حاول الإيرانيون استغلال العراقيين كثيرًا، مثل محاولة تجنيدهم، وتجنيد الأسرى العراقيين، لما سموهم «التائبين» لمحاربة إخوتهم العراقيين في حرب أراد النظام الإيراني إطالتها خوفًا من ثورة شعوبه المتعددة القوميات في الداخل، لكنهم يمكن أن يتحدوا عند الأزمات الخارجية، مما يسهل تصفية خصومهم الإيرانيين في الداخل، واتهامهم بالعمالة للخارج. كما فعل النظام الإيراني مع الشيوعيين ومجاهدي خلق وفدائيين إسلام وغيرهم، في تصفيات وإعدامات واعتقالات رهيبة، حتى إنها تنكرت للكثير من القوى والتيارات والشخصيات، التي اشتركت معها في إسقاط الشاه، لكنها استفردت في القرار، وصفت خصومها بحجة أنهم أعداء لولاية الفقيه. كان حزب الدعوة يمتلك: معسكر الأهواز، وقوات الشهيد الصدر، وجريدة الجهاد. أما الحكيم فقد فتح مكتب الشهيد الصدر، وجريدة لواء الصدر، فضلًا عن تأسيس لواء بدر، واسمه الحقيقي: (سباه نوه بدر)، وإدخال الأسرى العراقيين فيه بوصفهم مقاتلين، للخروج من جحيم الأسر والتعذيب والإذلال، وما جرى لهم من الويلات تحت رحمة الطغاة. كانت قيادات (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) الأولى هي إيرانية صرفة كاملًا، أولًا محمود الهاشمي الشاهرودي (رئيس القضاء

الأعلى لدورتين في إيران، وهو الذي يسرع في إمضاء الإعدامات الكثيرة، لمن يعترض على الظلم والظالمين، إرضاء لولاية الفقيه وجبروتها). ثم علي الحائري صهر علي المشكيني (رئيس مجلس الخبراء)، وكان الحكيم ناطقًا رسميًّا في دوراته الأولى، ولا يمتلك القرار الحاسم، حيث كان المجلس يضم وقتها الحكيم والدعوة ومنظمة العمل الإسلامي، وتيارات أخرى مختلفة. أرادت بعض قيادات الدعوة استلام رئاسة المجلس، لكنها متهمة في الكويت بتصريحها الإعلامي المعروف (الخميني حمار تمتطيه الشيوعية)، فضلًا عن اتهام القيادات العلمانية العليا بالماسونية من خلال الوثائق والمستندات خصوصًا السفارة الأمريكية، (التي سيطر عليها الحرس الثوري)، مما حجبها عن القيادة برغم وجود شخصيات إيرانية الجنسية والهوى، كفقيههم كاظم الحائري، وقياداتهم من محمد مهدي الآصفي ومرتضى العسكري، وكوادره: كموسى الخوئي وعماد الخوئي (أحفاد المرجع الفارسي أبي القاسم الخوئي)، فضلًا عن المرتبطين المعروفين بأجهزة المخابرات الإيرانية. كان الصراع بين باقر الحكيم ومحمود الهاشمي وكاظم الحائري على أشده للسيطرة على الزعامة في القضية العراقية. شيئًا فشيئًا بدأ الحكيم يتولى رئاسة المجلس بعد عدة دورات، ويجلب مؤيديه، مثل أبي علي المولي التركماني وصدر الدين القبانجي (مسؤول حزب الله فرع العراق)، وعبدالعزيز الحكيم (مسؤول الارتباط المخابراتي مع الأجهزة الأمنية الإيرانية)، وهمام حمودي (صهر الحكيم)، وسامي البدري، ومحمد الحيدري، وعبداللطيف أبو ميثم الخفاجي، (اللاجئ حاليًا بأمريكا)، للاستحواذ على المجلس تمامًا مبعدًا كل الخصوم، مما أدى إلى خروج الكثير من التيارات الأخرى،

فضلًا عما أشرنا إليه حول الشيرازيين وفضائح حزب الدعوة. وعندها بدأ المجلس يصير حكيميًّا لآل الحكيم (طواغيت) بامتياز، مما يجعل القضية العراقية تدخل في مرحلة جديدة من الصراعات والأهواء. حينما كانت الحرب الظالمة والشرسة بين الحكومتين الإيرانية والعراقية، تشتعل بشراسة ودموية كانت الشعوب تدفع أثمانًا باهضة جدًّا، بينما تتنعم القيادات من الحكومات والمعارضات بأموال وسفرات وجوازات ودنيا ملطخة بدماء الأبرياء. مصائب قوم عند قوم فوائد، قيادات لا محل لها من الإعراب، إلا في الأزمات والحروب والمحن.

كانت الدعاية الإعلامية الإيرانية ومن خلال وعاظ السلاطين وأجهزة إعلامية ضخمة، لتهييج الشعوب في حرب أهلكت الحرث والنسل، واستمرت لثمان سنوات دامية، وقودها الشعبان البريئان: العراقي والإيراني. كان خميني (ذي الأصل الهندي كما في الوثائق الإيرانية والبريطانية) يصر على إطالة الحرب، ليعدها مقدسة قائلًا: (لا صلح مع الكفر)، (لو جاء المسيح ابن مريم فإنه لن يحيي صدامًا، لأنه ميت لا محالة)، (الحرب مقدسة، والشهيد يحشر مع الحسين في الجنة)، (الإمام المهدي يقود الحرب ضد الكافرين).

إذن لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وصوت ولي الفقيه هو الصوت الأعلى، وغير صوت ولي الفقيه يعدونه صوت الشياطين، حتى لو صدر للفقهاء والمراجع الإيرانيين المخالفين لولاية الفقيه فقهيًّا، وهم الأكثر، الذين كتبوا رسالة إلى الخميني في ضرورة إيقاف الحرب وقت احتلال الفاو، وأن مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء يسقطون

ضحايا أبرياء من الجانبين، ولابد من الاحتياط في الدماء البريئة النازفة، وكثير من قتلى الطرفين، هم من الشيعة.

كان الجواب: هو قوى التعبئة (بسيج)، والحرس الثوري (سباه باسداران)، والقوى الثورية والمخابرات تهاجمهم في بيوتهم، بشعار (الموت لضد ولاية الفقيه)، ترمى الرسائل العملية للمراجع في بيوتهم، واتهامهم بأنهم عملاء للأجانب والاستكبار العالمى... وعندها وضعوا تحت الإقامة الجبرية، ومنع زياراتهم، والاتصال بهم، وهذا ما حصل فعلًا للمراجع الكثيرين: كشريعتمداري وقمي والروحاني والشيرازي والكرمي والخاقاني وغيرهم كثير. كان الأسرى العراقيون تحت إشراف مرتضى شريعتي والجيش الإيراني، ثم تحولت إلى باقر الحكيم، ليعين صدر الدين القبانجي عضده، الذي لم يعرف الرحمة في حياته، ويسمى بعلي كيمياوي، للشبه الكبير بينهما. فقد قام القبانجي بأعمال غير إنسانية، يندى لها الجبين، وقد أرى الأسرى الأمرين في تعذيبهم وقتلهم، وإرغامهم على أمور كثيرة، ماسُمِّيَ بالتوبة والتكفير، بالاشتراك في لواء بدر، الذي أسسه الحكيم، باسم (سباه نوه بدر)، وإشراف وتدريب ورعاية أجهزة المخابرات الإيرانية، وكان يمثل دكتاتورية ولاية الفقيه في ذلك القسم، هو محسن الأراكي الذي يغير لقبه إلى العراقي للتعتيم، وكان مسؤولًا عن إعدام المئات من الأبرياء، خصوصًا كونه حاكمًا شرعيًّا وقاضيًا في قمع الانتفاضات العربية في إيران. كان معسكر حشمتية في طهران يمثل القيادة للأسرى، ويحوي عشرة آلاف أسير مقسمين على خمسة أقسام، والذي زرته بنفسي ورأيت

معاناتهم. كان الوضع المعيشي سيئًا جدًّا جدًّا، لا يصلح للدواب فكيف للبشر. فضلًا عن إرغامهم لسماع محاضرات، لتغيير دينهم ومذهبهم، خصوصًا علي البدري (عم سامي البدري)، الذي يدعي تحوله من المذهب السني الى المذهب الشيعي. كان الأسرى يجبرون على التحاقهم في القتال ضد إخوانهم العراقيين، إرضاء لجبروت ولي الفقيه، وإشباعًا لرغبة السياسيين العراقيين، الذين عاشوا الترف لهم ولأبنائهم، بينما يبعثون الآخرين إلى الموت. كان الإيرانيون يستخفون بشعوبهم، لدرجة رميهم في فتح الألغام، لأن دماءهم رخيصة، وأكثر رخصًا منهم هي الدماء العراقية البريئة، التي أجبروها في عمليات كثيرة في الحرب الظالمة بين العراق وإيران، وها هي قبور العراقيين تملأ المقابر الإيرانية في طهران وقم وأصفهان وغيرها، وكتب عليهم في أي عمليات إيرانية سقطوا. ولابد من التأكيد أن الحركة الإسلامية لم تقتصر عملياتها من الأراضي الإيرانية أو السورية، بل تجاوزت إلى لبنان والكويت وغيرها. فقد قام حزب الدعوة وأفرعه الخارجية بتفجير السفارة العراقية في بيروت بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨١، وأعلن مسؤوليته الرسمية عنها. كانت المخابرات الإيرانية قد مولتها، بينما المخابرات السورية قد أمنت اللوازم اللوجستية، حيث مكتب سوريا بقيادة نوري كامل المالكي في تهيئة أبي مريم، الذي فجر نفسه وقد قتل المئات من المراجعين والموظفين، ومنهم بلقيس زوجة نزار قباني، والكثير من الأبرياء مما يسميها الإسلاميون اليوم عمليات إرهابية، لقتلها المئات من الأبرياء، بينما كانوا يسمونها آنذاك بالعمليات الجهادية، ويقبضون الأموال والامتيازات عليها. كما حاول الحزب بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٨٥ من خلال جمال جعفر (أبو مهدي المهندس) محاولة

اغتيال أمير الكويت جابر الأحمد بأوامر وتمويل إيرانية، كمعاقبة للكويت لدعمها العراق في الحرب آنذاك، كما أثبتتها المحاكم الكويتية. وعمليات كثيرة في الخليج العربي، أدت إلى طرد الكثير من العراقيين الأبرياء من تلك الدول، وربما التسليم أحيانًا للنظام العراقي، ليعاقبهم بطريقته المعروفة. كما أسس باقر الحكيم «حركة المجاهدين العراقيين»، ومسؤولها في إيران أخوه عبدالعزيز الحكيم حلقة الوصل مع المخابرات الإيرانية، وفي سوريا محمد الحيدري الذي أسس بدوره بنك المعلومات أيضًا. قامت حركة الجاهدين بالعديد من العمليات، وأصدرت في ذلك البيانات الرسمية. لعل أهمها محاولة تفجير وزارة الداخلية لمنع مؤتمر عدم الانحياز من الانعقاد في بغداد. كانت العملية بقيادة أبي بلال الذي تعوّق في التدريب، وفقد قدمه في معسكر سوريا. قاد السيارة الألكترونية المتبرعة من شيعة الكويت، ليفجر وزارة التخطيط بدلًا من الداخلية المخطط لها. أبو بلال وأصله من الدجيل، وأراد الانتقام لأهله المقتولين في حادثة الدجيل لاغتيال صدام حسين، ومعاقبة صدام لأهل الدجيل، التي حوكم فيها صدام وأعدم. أبو بلال سجل شريطًا مدعيًّا أنه سوف يقتل صدامًا في هذه العملية. وهذا لم يحصل، بل هو أخطأ حتى في الهدف وزارة الداخلية وتحويلها إلى وزارة التخطيط. الملاحظ أن النظام العراقي نشر صورة أبي بلال من خلال الهوية، التي دخل بها للعملية غير المتأثرة بالتفجيرات، وهذا يثبت أيضًا ضعف المخططين للعملية. بل كانت الكثير من العمليات مكشوفة للنظام، الذي سلم أصحابها إلى العقاب بعد تسللهم من الحدود، خصوصًا عملية أبي باقر وفائز الحيدري، الذين أظهرهم النظام على شاشات

التلفزيون، ليعدمهم بعد ذلك مانعًا من إقامة الفواتح عليهم. كما كانت قيادات الحركة الإسلامية تقوم بتسليم من كان يسمى بالمجاهدين إلى النظام العراقي بسهولة، ضمن صفقات مشبوهة، يشرف عليها قيادات معروفة. وبعد اكتشافهم هربت قيادات الحركة الإسلامية في ليلة ظلماء، وبزى النساء، مما سماه (الدولة الإسلامية)، ليظهر بلندن وأمثالها فيماسماه سابقا (دولة الكفر)، وما حرمه على غيره من الناس في خطابات الجمعة وبيانات ومحاضرات معهودة في (التعرب بعد الهجرة)، أي حرمة السفر إلى الغرب، لأنه يضعف الإيمان بسبب الفساد الموجود في الغرب. العجيب عند حصول العملية العسكرية الواحدة، فإنّ مختلف التنظيمات الإسلامية العراقية تدعي تبنيها، وتفتخر بها، وتصدر بيانًا مستقلًّا. برغم أن الذي قام بها قد لا ينتسب إلى أي جهة، ولكنه أراد الانتقام من النظام بسبب ماقام به النظام من قتل واستباحة لعائلته وأرحامه، والذي أشرف عليها تنظيم واحد فقط. هكذا كانت المتاجرة بالدماء، لتحصيل أكبر مكاسب دنيوية، وجوازات دبلوماسية، يجولون العالم بها، ويتاجرون بدماء الآخرين، فالهوة كبيرة جدًّا بين الشعب المضحى دائمًا وقيادة المعارضة الطاغوتية على أبناء جلدتها، والمستفيدة دائمًا دون أي تضحيات أو تنازلات. والجدير ذكره أن حرب التسقيط بين مختلف الفصائل وقوى المعارضة كانت على أعلى المستويات، للمتاجرة بالشعب المظلوم. لكنها الدنيا التي أرادت القيادات الإسلامية أن تتاجر بها، وتقبض أثمانًا كبيرة ملطخة بالدماء البريئة. وأخيرًا وبعد ثمان سنوات من حرب دامية، أحرقت الحرث والنسل، وسقط الملايين بين قتيل ومعوق، وو و.. قبل ولي الفقيه، (الذي يملك السلطات الثلاث بيد من حديد) بإيقاف الحرب

والصلح بين النظامين العراقي والإيراني، معتبرا تجرعه للسم آنذاك، لأنه لا يؤمن بالسلم والصلح ... لتبدأ مرحلة جديدة من الصلح بين النظامين العراقي والإيراني، بعد استغراقهم في إطالة الحرب ومزيد من الدماء والمعوقين والنكبات. كان الصلح والتطبيع يمثل صدمة حقيقية للمعارضة العراقية خصوصًا حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذائب كليًّا في ولاية الفقيه، والمراهن على استحالة الصلح تحت شعارات ولي الفقيه: (الصلح بين الكفر والإسلام خيانة لله وللرسول)، (الخميني يسلم الراية للمهدي المنتظر)، (صدام ساقط لا محالة، ولن يحييه حتى السيد المسيح القادر على إحياء الموتى). طبعًا المجلس كان يمثل الصدارة في عصا ولي الفقيه، واتهام الآخرين من التيارات الإسلامية، بأنهم أعداء ولاية الفقيه والمرجعية والتشيع وأهل البيت والإسلام الأصيل، وبأن معارضي ولاية الفقيه كلهم عملاء الأجانب وأمريكا وإسرائيل. كان يكفي لإسقاط شخص أو مؤسسة بهذا الاتهام. بعد الصلح لا يحتاج النظام الإيراني إلى المعارضة العراقية، كما كانت زمن الحرب: (التي كان لقوات بدر (التابعة للمجلس الحكيمي) ضمنهم بعض الأسرى دورًا بارزًا في الحرب مع إيران في معارك كثيرة، منها صد هجوم مجاهدي خلق، (الذين استوعبهم النظام العراقي)، وقد عبرت مجاهدو خلق الحدود الإيرانية، وتصدى لها فيلق بدر واسمه الرسمي (سباه نوه بدر) التابع للحرس الثورى الإيراني (سباه)، حيث أعلنها هاشمي رفسنجاني في خطبة الجمعة، تمجيدًا بقوات بدر في محاربة إخوانهم العراقيين، (متى ما طلب الإيرانيون منهم ذلك)، كما تكلم باقر الحكيم في خطبة الجمعة الإيرانية بيان العلاقة الإستراتيجية

بين القوات الإيرانية وقوات بدر تحت إمرة ولاية الفقيه، كلما أمرت به بتعبير باقر الحكيم: (نجاحنا وقوتنا في ذوباننا في ولاية الفقيه الشرعية الوحيدة). انتهت الحرب الظالمة بعد سقوط الضحايا من الملايين القتلى والمعوقين والمشردين، وبدأ الصلح والتطبيع والوفود المتبادلة بين النظامين، بل التجارات على أعلى المستويات لدرجة بين أبناء هاشمي رفسنجاني وأبناء صدام حسين على جزيرتي كش وقشم وصفقات النفط وغيرها. برغم أن الأفلام الإيرانية كانت تصور العراقي وحشًا غير متحضر، بينما الإيراني حملًا وديعًا، إضافة إلى الجرائد والمجلات والشعارات العنصرية ضد العرب عمومًا والعراقيين خصوصًا. ومن حق العراقي أن يسأل: ما فائدة الحرب؟ ولماذا استمرت لثمان سنوات دامية؟ ولماذا سقط ملايين الأبرياء؟ لماذا يتم الأطفال ورملت النساء؟ وعشرات الأسئلة الأخرى؟

إنها السياسة لتجار السياسة من الطرفين، وتجار الدين، وتجار الحروب، وزعماء الأحزاب الدينية، الذين تربعوا على عروشهم بعد تصفية خصومهم، ولولا الحروب والدماء والمجازر لما وصل النكرات المكروهة والقبيحة، ليتحولوا إلى زعماء، ويحكموا بعد أن كانوا ماكانوا عليه، ونحن نعرف تاريخهم وواقعهم الحقيقي، وكيف يحولون نكبات الشعب إلى مكاسب شخصية لهم، ولو كانت على جماجم ملايين الأبرياء.

الآن بدأ النظام الإيراني مرحلة جديدة تكشف وجهه الحقيقي، لدرجة قيامه بتسليم بعض العراقيين إلى النظام العراقي، وملاحقتهم ومطاردتهم في أبسط أنواع المعيشة، حتى الهوية الوحيدة: (الكارت

الأخضر)، الذي كان ذليلًا في تحصيله، وفوائده قد منع عنهم كما منع أي عمل أو زواج أو غير ذلك من الحقوق البسيطة لأدنى الكرامة البشرية. بدأ النظام الإيراني وخصوصًا وزارة الداخلية بشن حملة واسعة ضد العراقيين بكل مرافق الحياة، ومنها تسليم الكثير منهم للنظام العراقي.

بينما كنت أعطي المحاضرات في بعض الجامعات الإيرانية، قمت بزيارة باقر الحكيم، وطلبت منه كونه المسؤول الأعلى والمحترم عند السطات الإيرانية، طالبته موقفًا قويًا أمام الإجراءات الإيرانية. فأخبرني أن الإيرانيين لا يسمعونه، ولا يحترمونه، ولا يجيبونه، برغم كتابته عريضة طويلة في المطالب، وقدمها لخميني نفسه، وأن معتمد الحكيم فيما سماه (المجاهدين)، قد سلمته السلطات الإيرانية إلى بغداد، بوصفه دليلًا على سياسة جديدة للإيرانيين.

طلبت منه أن يعلن أمام الملأ رفضه واستنكاره. فلم أجد له رغبة في ذلك، ثم سألته عن تطليق إيران وهجرته إلى بلد عربي، فأجاب بأن النظام العراقي يطارده، وسألني عن البلد المناسب، فاقترحت له لبنان، وقلت له: (إن فضل الله ليس بأكبر منك، والشعب اللبناني طيب، وإن لك رحمًا بلبنان). فسكت، ولم يجب، وهي طبيعته عندما يحرج، ويقع في حيرة، ولا يجد جوابًا. وقد طلبت منه الانفتاح على العراقيين، وعلى مخالفيه من المعارضة العراقية، وما أكثرهم، فحاول توسيطي في ذلك، قائلا: (أنت مستقل، ولم تنتم لأي حزب أصلًا، ويحترمك الجميع، فأرجو توسطك مع العراقيين الآخرين)... وكان جمع المتناقضين من أصعب الأمور.

بـدأت الهجـرة العراقيـة فـرارًا مـن إيـران وطغيانهـا، وقـد بدأتهـا القيادات الإسـلامية إلى دول ماسُـمِّيَ بالكفر، برغم إصدارهم الفتاوى بحرمـة ذلـك، بعنـوان: (حرمـة التعـرب بعـد الهجـرة). حينهـا بـدأت الأحزاب الدينية بتجارة جديدة وكبيرة في بيع الجوازات والفيز، وغيرها من متطلبات الهجرة إلى مختلف أصقاع الدنيا، بحثًا عن وطن أو سكن أو عمل أو حرية أو كرامة، حيث بدأت الأمواج العراقية تبحث عن وطن، علـمًا أن أجهزة المخابرات في إيران وسـوريا قد طبعـت جوازات مزورة عراقيـة، تقدمها لأتباعها من الأحزاب، التي باعتها للعراقيين، وتاجرت بها أيما تجارة.

أعان الله البسطاء المستضعفين، الذين لا حول لهم ولا قوة، مما أدى إلى الكثـير من المآسي والمصائب، فضلًا عن العنصرية الإيرانية الشـديدة، وتسـمية العـرب (عرب خـر) إهانة لهم، حتـى نظم فقيه شـيعي عراقي كاشف الغطاء قصيدته المشهورة: (أراح الله قلبي من بلاد)، ويشرح فيها أخـلاق الإيرانيين وعنصريتهم ضد العـرب. وقد اتخذ العراقيون مختلف الوسـائل والسـبل للهروب من الطغـاة في إيران، حتى مـات بعضهم في البحـار والمحيطـات أو ضاع في الصحارى أو سرقـت أمواله، وتعرضوا إلى مافيـات النصـب والاحتيال في عمليات الهجـرة والبحث عن وطن. وللأحـزاب الدينيـة فوائد جمة وملايين كثيرة مـن محنة هجرة الآلاف من العراقيين، هكذا كانت الهوة واسعة بين نكبة الملايين ومحنتهم وبين القيادات المسـتفيدة مـن محنتهم، التي عاشـت في قصور في إيـران وغيرها، علـمًا أن بعضهم يحمل جوازات لأكثر من دولة، منها إيران وسوريا وليبيا وغيرها.

لقد تفاقمت الصراعات بين الأحزاب الإسلامية بشكل واسع ومتنوع، ويقودها في المجلس صدر الدين القبانجي، (لقبه العراقيون في إيران بعلي كيمياوي لقسوته وطاغوتيته)، الذي أسس حزب الله فرع العراق مع أجهزة المخابرات الإيرانية، وطبعوا المنشورات، وأسسوا الندوات واللقاءات والتظاهرات في تسقيط الآخرين، خصوصًا من التيارات الإسلامية الأخرى، والقيام بأعمال قذرة تلبية لأجهزة المخابرات الإيرانية. ثم غزا النظام الصدامي هذه المرة بلدًا عربيًّا عزيزًا شقيقًا، أعانه في الحرب الإيرانية، وهي جريمة أيما جريمة... مما شق العرب نصفين، ودخول المعارضة العراقية في مرحلة جديدة. لابد من التأكيد بعد الصلح بين النظامين الإيراني والعراقي، حيث بدأت ما يسمى القيادات العراقية تتظاهر بإيرانيتها، وتتنصل عن عراقيتها، بل قد تستعير منها إلى درجة استعمال اللغة الفارسية كاملًا، وهجر اللغة العربية، وطرد العراقيين في مؤسساتهم، واستبدالهم بفرس خالصين، ولاؤهم لولاية الفقيه حصرًا أملًا في الحصول على المكاسب الإيرانية. فمثلًا دخول باقر الحكيم في المؤسسات الإيرانية الصرفة، وحمله الجنسية الفارسية، لأن أصله طباطبائي أصفهاني فضلًا عن أخيه عبدالعزيز رجل المخابرات والتقارير السيئة ضد العراقيين، (مع جهاز إطلاعات الإيراني)، وأظهر كاظم الحائري جنسيته الإيرانية ودرسه الفارسي، وأما محمود الهاشمي فقد غير لقبه إلى الشاهرودي، وأعلن أصله الفارسي، ومال نحو الإيرانية في درسه بالفارسية في المدرسة الفيضية في قم، وابتعاده عن العراقيين إلى درجة: أن خالد أبا ذر العطية رجل الاتصال بالمخابرات الإيرانية والمسؤول في مكتبه، قد طرد جميع العراقيين من جميع

مؤسساته التحقيقية ومكتبه، والمجيء بإيرانيين لا يفهمون العربية، ولا ينفعون في تحقيق كتب الأحاديث العربية. وأعمال قذرة كثيرة، كما دعا الحكيم والحائري والشاهرودي إلى تقليد ولي الفقيه الخامنئي، (برغم لا يعتقد فقيه من الإيرانيين باجتهاده، ولا فقاهته). حيث إن لعبة تعيين خامنئي وليًّا للفقيه تمت من خلال لوبي، يتزعمه هاشمي رفسنجاني نائب رئيس مجلس الخبراء، لإبعاد المنتظري وآخرين. حيث ادعى رفسنجاني أن خميني قد أسر إليه خاصة في أهلية خامنئي لولاية الفقيه. على الرغم من أن وصية خميني كانت إلى منتظري سابقًا بوصفه خليفة له، ثم غيرها كما هو معلوم. علمًا أن الحكيم كان يدعو إلى ولاية الفقيه في كل خطاباته بإسراف ومبالغة وغلو، كما يدعو الى تحويل التقليد إلى ولي الفقيه، وذلك لكسب الولاء الإيراني وامتيازاته في الكثير من المؤسسات والمواقع. ما ينبغي ذكره أن الكثير من هذه المسميات بدأ يستعير من الحديث باللغة العربية إلى درجة جوابه بالفارسية، عندما يسأل بالعربية خوفًا من أجهزة المخابرات الإيرانية المحيطة بمكتبه، والتجسس عليه، حيث كان العربي والعراقي قد يطرد في أي موقع رسمي، لمجرد حديثه باللغة العربية، وهي عقدة المسؤولين الإيرانيين من العرب والعراقيين خاصة، ومن اللغة العربية، فهم يفتخرون بقوميتهم وكسرى وتاريخهم وعاداتهم المجوسية، لا سيما نوروز والنيران، ويحقدون على العرب، وعلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، الذي أجبرهم على دخول الإسلام، وأسقط إمبراطوريتهم وعرشهم، الذي دام ٢٥٠٠ عامًا، فضلًا عن تفتيت عرشهم، وتوزيع بناتهم إماءً وأولادهم عبيدًا، وإخضاعهم لتغيير دينهم وعقيدتهم، التي كانوا يفتخرون بها.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن وفاة خميني ١٩٨٩، ومجيء خامنئي كولي للفقيه، قد غير الكثير من المعادلة والسياسات الإيرانية. فمثلا قرب خامنئي الدعاة بصفتهم حزبًا وأفرادًا بعد أن كانوا مبعدين متهمين، كما شرح أعلاه لفضائح: (كالعمالة، وفضيحة معسكر الأهواز، وعمليات أبي حوراء وغيرها). حيث إن خامنئي رئيس حزب (جمهوري إسلامي)، وقام بتعيين دعاة مثل محمد علي التسخيري، (وهو اللحاف في النجف ومسؤول الدعوة) إلى ممثل لولي الفقيه، ومسؤول كبير في مكتبه، وتبليغه وعلاقاته الخارجية، وأعطاه مؤسسات مثل: (فرهنك وارتباطات إسلامي) ... وكذلك مرتضى العسكري المحجور عليه في زمن خميني، كما شرحته أعلاه ليؤسس كلية أصول الدين والمجمع العلمي الإسلامي، فضلًا عن قصة محمد مهدي الآصفي، الذي بات مسؤولًا عن مؤسسات ومجامع، وتمثيل لولي الفقيه في الخارج، والكثير من المؤتمرات، هذا علمًا أن الكثير منهم ادعى زورًا وكذبًا: أنه ليس من الدعاة، أو خرج منها منذ زمن ولن يعود، لكنه أعلن الآن أنه باق على الدعوة، وما ادعاه سابقًا أمام الشيعة كان تقيَّة وخوفًا.

ومن المفارقات هي حرب المجلس الأعلى العنيفة ضد مرجعية أبي القاسم الخوئي في العراق، وطلب تحويل التقليد إلى ولي الفقيه، واتهامهم ابنه جمال الدين بالعمالة للنظام الصدامي، ومن جهة أخرى في تسقيط الشيرازيين يستفيدون من فتوى الخوئي نفسه ضد محمد الشيرازي بأنه ليس مجتهدًا، وأمره مريب، كما جاء في نص جوابه، لمن سأله في إعطاء الخمس لتأسيس حوزة في تنزانيا. وهي حرب بين زعامات من النجفيين

والكربلائية على امتداد تاريخ طويل. كما أن الخلافات العراقية قد تحولت إلى تظاهرات للمجلس، ضد ما سموه المنافقين، قادها في صحن قم صدر الدين القبانجي، الذي أسقطت عمامته، وضرب ضربًا مبرحًا، وأدمي من قبل حزب الدعوة وبلطجيته، كما ضرب بالسكين في سوريا ياسين الموسوي المحسوب على المجلس، لتأليفه كتابًا ضد منهجية محمد حسين فضل الله، فقد ضربه بالسكين رجل الدين، ممثل حزب الدعوة في إحدى الدول الأوربية.

وبعد غزو النظام العراقي هذه المرة بلدًا جارًا عربيًّا شقيقًا عزيزًا، وهو الكويت الحبيب الذي أعانه في الحرب الإيرانية، مما شق العرب نصفين، وسقطت النفوس، وهجرت الآلاف، وسرقت الممتلكات، وانتهكت الحرمات، ودخول المعارضة العراقية في مرحلة جديدة، حيث كانت المسروقات من الكويت تأخذها المعارضة، ثم تبيضها، وتصبح مالكة شرعية لتلك المسروقات، من خلال علاقاتها بالأجهزة المخابراتية الإيرانية، والحرس الثورى الإيراني، وتنطبق عليه: (مصائب قوم عند قوم فوائد)، لتستفيد المعارضة من المحنة، وتحولها إلى تجارات شخصية. ولقد سألت أحد القادة في حرمة ذلك؟ أجابني: (لقد دفع الخمس، وأمضاه ممثل ولاية الفقيه، فصارت شرعية). قلت له: (إذن ولي الفقيه يجيز المسروقات من بلد إسلامي؟) فسكت، ولم يجد جوابًا، وهو يركب سيارة من أفخر السيارات المسروقة من الكويت، ولكنه بات رقمها إيرانيًّا، واليوم هو من الإمبراطوريات العظيمة، التي سرقت المليارات في دولة الفرهود بالعراق، المنهوب والمستباح إيرانيًّا وأمريكيًّا، بلا حساب

ولا جزاء ولا عقاب، لأنه من الأحزاب الدينية الحاكمة. هذه أمثلة يسيرة. ثم بدأ تحرير الكويت الحبيب، ومن بعدها انتفاضة انطلقت من الجنوب العراقي، لتدخل المعارضة العراقية في مرحلة جديدة في تحرير الكويت، ثم ما يسمى بـ«الانتفاضة الشعبانية»، التي دعمتها إيران، وبدأت بضرب صور صدام الكبيرة، وتحطيم جدار الخوف والإرهاب التي كان يعانيها الشعب من حكم شمولي مستبد ظالم. انطلقت من الجنوب ليصل إلى أكثر من أربع عشرة محافظة، أوشك النظام أن يسقط تمامًا، خصوصًا وأن بغداد بدأت تتحرك من الكاظمية ومدينة الثورة (الصدر) إلى درجة أن صدامًا وجماعته بدؤوا يفكرون جدًّا في الهرب. المعارضة الإسلامية العراقية تفاجأت بالانتفاضة، وهي بعيدة عن الواقع العراقي، وتعيش في أوهام وخرافات، تحكم الكثير من التصورات الخاطئة عن الواقع العراقي. اجتمع المجلس الأعلى واتخذ قرارا من أسوأ القرارات، في عدم التفاعل مع الانتفاضة، وذلك لسببين حقيقيين: أولًا: عدم رغبة القيادات الإيرانية. وثانيًا: لإحاطة الحكيم بحاشية من الانتهازيين والوصوليين، الذين يخافون من خيالهم، فكيف بدخولهم العراق، بعضهم الآن مسؤول المركز الإيراني بلندن، وحقيقة بعضهم بعثي معروف، فإن دخوله للعراق يعني كشفه بصفته عميلًا مزدوجًا، وربما قتله في العراق. لذلك لم تتفاعل المعارضة الإسلامية مع الانتفاضة برغم انتظار الداخل المسكين، والمضحى دائمًا، وتوقعهم بين لحظة وأخرى، لتفاعل الخارج ووصول قياداته الوهمية، لكنها ليست قيادة حقيقية لنزول الساحة ميدانيًّا، بل اكتفى الإسلاميون بالشعارات، وإرسال الصور للقيادات الإيرانية، وولي الفقيه، وبعض الأمور البسيطة: كشعارات شيعية: (لا

ولي إلا علي، نريد قائد جعفري)، (يا لثارات الحسين). وتغلغل أفراد محدودة من قوات بدر (سباه نوه بدر)، التابعة للمجلس الأعلى إلى داخل العراق، لسرقة البنوك العراقية والجوازات والممتلكات والوثائق العراقية، لتسليمها لإيران أوالمتاجرة بها، وتبييضها من خلال الحرس الثوري وأجهزة المخابرات الإيرانية (اطلاعات). فما أحوج العراقيين في إيران وسوريا ولبنان آنذاك إلى جواز سفر أو هوية أو عمل أو وطن، كما تم شرحه أعلاه. وإن الإيرانيين أرادوا الاحتفاظ بأتباعهم، لأنهم كما قالوا: (صرفنا عليهم الكثير: كحزب الله في لبنان، ونريدهم رجالنا في مستقبل العراق)، كما هو حاصل اليوم في الواقع العراقي، كما أن للإيرانيين أتباعهم في كثير من الدول الإسلامية والعربية.

الشعارات الطائفية والصور الإيرانية: كولي الفقيه، ودخول ميليشات الحرس الثوري الإيراني، أرعبت أمريكا نفسها، التي طلب جورج بوش (الأب) مسبقًا من الشعب أن ينتفض ضد الديكتاتور صدام، لكنه سرعان ما تخلى عن موقفه، وسمح للنظام الصدامي بأن يقصف الشعب، خصوصًا الجنوب بالطائرات، بينما لا يسمح لطائرات النظام التحليق فوق أراضي كردستان العراق. عندها كانت الإبادة الصدامية للشعب، والعقاب الجماعي ودور علي الكيمياوي وأمثاله معروف. هكذا أبيد مئات الآلاف، كما هاجر العراق أكثر من المليون، ذهب أكثرهم إلى إيران، فعانى الذل والعنصرية والهوان والقمع، حتى رجع إلى بلده، ليلقى حتفه على يد النظام الصدامي شهيدًا محتسبًا، كما سجن الكثير في سجون إيران الطاغوتية، (حتى استشهد من استشهد)، وهرب البعض إلى

الخارج، ومات بعضهم وهو يحاول الوصول إلى الغرب أو غيره، في محنة يندى لها جبين الإنسانية، ويتفرج عليها بعض العرب شامتين فرحين. أما المعارضة الإسلامية خصوصًا المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، فقد فتحت لهم كنوزًا وأموالًا من الكويت والسعودية والخليج العربي ودول أخرى عالمية، لتدعوهم القيادات والملوك والأمراء والرؤساء، ويقبض المليارات كمعارضة للنظام الصدامي، (الذي بات مرفوضًا عالميًّا تحت البند السابع لقرارات الأمم المتحدة والحصار الاقتصادي)، كما كانت المعارضة قد قبضت سابقًا من القذافي وإيران وغيرهما، زمن الحرب العراقية الإيرانية. بدأ باقر الحكيم زيارات دورية إلى الكويت، حيث يذهب لقضاء شهر رمضان باصطحاب أرحامه، خصوصًا ولديه صادق وحيدر. وقد سألني في إحدى المرات عن زيارته للكويت، فقلت له: (إن العراقيين يرفضون صدامًا، الذي جعل من قصي وعدي أولاده حكامًا على العراق، فلماذا تكرس ثقافة العائلة الحكيمية، وتصطحب ولديك بدلًا من الانفتاح على الآخرين من المعارضة العراقية، وإن اختلفوا معك في الرأي، وعليك أن تكون كالأب الرحيم، وأن تنزل من برجك العالى إلى المعاناة الكبيرة والمآسي العظيمة للعراقيين). وسألته أن يوزع على المعوزين ما قبضه من دنانير في الكويت، وعليه أن يتواضع، لأن الهوة بينه وبين العراقيين باتت كبيرة جدًّا، والساحة العراقية لا تتحمل ذلك. فما كان منه إلا السكوت، وهي طبيعته في المواقف المحرجة. أما الجانب السوري فكان للحركات الإسلامية مكاتب رسمية: كمكتب (أبو بلال) للمجلس الأعلى في دمشق حي الأمين، ومسؤوله رجل الدين

الخطيب الحسيني عامر الحلو. وكذلك الخط العسكري، حيث تمتلك بعض السيارات والشخصيات كارتًا، يسمح لها بالعبور بين سوريا ولبنان، متجاوزًا التفتيش، والختم للجواز، وغيرها من الأمور الإدارية، بل يسمح للسيارة كاملًا باصطحاب من تشاء، متجاوزة الحدود بين البلدين. والجدير ذكره أن البعض منهم كان يستغله في التهريب والتجارة بين البلدين، لدرجة أن إحدى القيادات الإسلامية اكتشفت المخابرات السورية تهريبه كيلوين من الذهب، فتحولت المسؤولية إلى رفيقه القيادي الآخر، ليكون التهريب والتجارة على مستوى محترف وكبير. إذن كانت الغالبية العظمى من العراقيين يعانون الأمرين في إيران وسوريا ولبنان وغيرها، وبعضهم قتل أو سجن أو هجر أو خسر وصرف كل مايملك، بينما كانت قيادات المعارضة تعيش في نعمة وترف وطغيان، وبعضهم يمتلك أكثر من جواز سفر، وأكثر من بيت في أكثر من دولة، بينما صعب على الكثيرين قوت يومه وسكنه وأبسط معيشته. برزت في العراق ظاهرة كبيرة، ومرجعية عربية اجتماعية متميزة ونشطة، وهوالمرجع (محمد محمد صادق الصدر)، وقد عارضتها المعارضة الإسلامية، التي تدعو إلى تقديس ولي الفقيه الإيراني، وقيادته حصرًا خصوصًا المجلس الأعلى. ظهور مرجعية عراقية متميزة ونشطة محمد محمد صادق الصدر(الصدر الثاني)، تلميذ الشهيد محمد باقر الصدر(الصدر الأول). وإحدى مشكلات العراق، هي المرجعيات الفارسية، غير الرشيدة وغير الصالحة، التي تفسد أكثر مما تصلح، وتقود إلى هلاك البلاد والعباد، فهي تأخذ أخماس العراقيين والعرب، لتصرف بعضها في إيران دون العراق للمحروم والمحتاج، وأما الجزء الكبير من المليارات، فهو إلى جيوب

أرحام المرجع وحاشيته، التي امتلأت وفاضت من المال الحرام دون مساعدة الفقراء والمساكين، وما تحتاجه الأمة. محمد باقر الصدر (الصدر الأول الذي أعدمه صدام حسين ٩ أبريل ١٩٨٠) عاصر مرجعيات فارسية غير رشيدة، ولا صالحة ولا يهمها العراق وشعبه، وقد حاربته كثيرًا، واتهمته بشتى التهم، ومنعت مشروعه، لذلك حاول إصلاحها من الداخل، ولما يئس كما يقول في مذكراته، تصدى أواخر حياته لكتابة أطروحته: (المرجعية الرشيدة والصالحة)، التي تحول الفرد إلى مؤسسة، تخرج من تقوقعها وغيابها وصمتها وذاتياتها وفرديتها وأنانيتها وحاشيتها وأرحامها إلى مؤسسة واعية منفتحة متحدثة، في الخطاب العلني الجماهيري، مواكبة للأحداث، حتى السياسية والاجتماعية، منفتحة على الواقع واحتياجاته وتحدياته، معايشة للفقراء والمحرومين، لذلك حورب الصدر حربًا شعواء من الحوزة ورجالاتها. والحق أن الرسول ﷺ كان اجتماعيًّا متواضعًا منفتحًا لكل الناس، خصوصًا الفقراء، ساعيًا في حوائجهم، دائرًا على الناس والأمة، ولم يغب، وكان الغريب يأتي الى المسجد، فيقول: (أيكم محمد؟) لانصهار النبي ﷺ بالأمة والشعب، وآمالهم وآلامهم، وهو يعمل من كد يمينه، ولم يترك لعائلته بعد وفاته المليارات من حقوق الناس. برغم أن الصدر الأول قتل في الأربعين من عمره، فقد قدم وكتب ما لم يقدمه، ولم يكتبه من عاش ضعف عمره كالخوئي والسيستاني وغيرهما من المرجعيات الفارسية الفاسدة باصطلاحه. كتب الصدر الأول في الثقافة والفلسفة والاقتصاد والبنوك، ومنطق الاستقراء والتاريخ والعقائد والسياسة والاجتماع وغيرها، كما عرف بنشاطه الاجتماعي الكبير، وتواصله الدائم بالناس،

وتواضعه للفقراء والمحتاجين، وحركته السياسية، وتصديه الشجاع ضد حزب البعث، وعدم تنازله عن مبادئه، وهو يقدم كل مايملك وعاش فقيرًا، ومات فقيرًا، ولم يورث لأولاده، ما ورثته المرجعيات غير الرشيدة وغير الصالحة من المليارات من الأخماس والحقوق الشرعية إلى أولادها وأصهارها، بدلًا من صرفها في حقها من الفقراء والمحتاجين، فضلًا أنها لا تمتلك ذلك العمق الفكرى والثقافي، بل لم تكتب في حياتها كتابين أصلًا. الصدر الثاني (١٩٩٠) ابن عم وتلميذ الصدر الأول، قام بالحركة الاجتماعية والسياسية، التي حركت الساحة العراقية المعقدة والصعبة، بشكل واسع وكبير ومؤثر، وبدعم من النظام نفسه. كانت لذلك مظاهر كثيرة وكبيرة، منها صلاة الجمعة وخطبه ووكلاؤه، فضلًا عن كثير من مؤسساته الاجتماعية، وخدماته للمحتاجين، ولقائه اليومى بالناس بشكل حركي فاعل ومتميز، إضافة لدوره في الانتفاضة، ومن ثم إنشاؤه المحكمة الشرعية في مختلف المدن العراقية، وتعيين عدد من القضاة الشرعيين، وهي ردة فعل على استحصال المرجع محمد سعيد الحكيم أمرًا رئاسيًّا من صدام حسين نفسه، لاسترداد مدرسة آل الحكيم الباكستانية في شارع (أبو صخير)، من الصدر الثاني الذي عمرها ورممها، بعد أن كانت مهملة مهجورة متروكة، وفي ذلك وقف صدام حسين إلى جانب الحكيم ضد الشهيد الصدر الثاني، لتجريده من مكان دراسي وسكني للطلاب، ومواقف أخرى أحيلها إلى كتابي الموسع. لقد أحدث الصدر الثاني (المقتول في أبريل ١٩٩٠) نقلة نوعية كبيرة جدًّا، أدت إلى حسد المرجعيات الفارسية غير الرشيدة في العراق وخارجه. أما المرجعية الفارسية السيستاني غير الرشيدة في العراق، ولم يعرف في تاريخها أي

تأثير إيجابي، حتى في الجانب الاجتماعي والسياسي، وهموم الأمة على كل الجوانب العراقية، برغم كل الظروف الصعبة للشعب، ومحنه مما جعل الصدر يذكرهم بالاسم السيستاني في بعض خطاباته ولقاءاته، لمراراته ومحنته وأهميته. علمًا أن المرجعيات الفارسية كانت مستعدة دائمًا لتقديم الفتاوى السريعة في كل ما يطلبه النظام الصدامي.

أما المرجعيات في إيران التي لا ترغب بمرجعية عربية مهتمة بالعراق ومصالحه، فضلًا عن الحقوق الشرعية بالمليارات، التي صودرت منها إلى العراق والعراقيين، لذلك حاربوا المرجعيات

العربية، مثل الصدر الأول والصدر الثاني، واتهامهم لهم بالوهابية والانحراف والعمالة وغير ذلك. يتحدث الصدر الثاني في حوار مسجل مع تلميذه محمد النعماني في منزله في (الحنانة) في النجف، قائلًا: (إنما تصديت للمرجعية حيث وجدت نواقص ومظالم وإهمالات كثيرة في الحوزة والشيعة عمومًا، فتصديت، ودخلت معمعة المجتمع، والحوزة والمرجعيات)، كما تحدث عن مظلوميته من رجالات الحوزة واتهامهم له بالعمالة، وذكر مرجعيات بالاسم، خصوصًا السيستاني ومواقفها ضده، ومع النظام وتعامل النظام معهم. تصدى المجلس الأعلى في اتهام الصدر الثاني (كذبًا وزورًا) بالعمالة للنظام العراقي. ولذلك أسباب عديدة، أهمها المخابرات الإيرانية والعقلية الفارسية العنصرية ضد العرب، خصوصًا العراقيين منهم، (وهي عقدة النقص الدائمة لهم)، وكذلك تبعية المجلس كليًّا لإيران، كما شرح أعلاه، والحسد لوجود شخصية عراقية قوية، ليست تابعة لإيران

تقوم بتغيير كبير في المجتمع لدرجة اتساعها ونفوذها، ثم تحديها النظام الذي ضاق ذرعًا منها، ولم يستطع تحملها، وهي تنتقده وتطلب إخراج السجناء والوكلاء من السجون العراقية ... حتى قتله مع ولديه، بعد إطفاء الكهرباء في المنطقة، وإحاطتها بأجهزته المخابراتية، ثم تسليم جثته بهذه الطريقة، ومنع التشييع والفواتح عليه.

وللأمانة التاريخية حاولت مرة عندما كنت مدرّسًا في بعض الجامعات، إقناع باقر الحكيم بالتفاعل مع الصدر الثاني (المقتول عام ١٩٩٠) فلم أفلح، حتى قلت له: (إنه مشروع تغييري، كبير يحصل في العراق بقيادة الصدر الثاني، وينبغي التفاعل معه). فقال لي: (كيف يمكن له القيام بهذا التحرك الكبير، لولا تأييد النظام؟) قلت له: (لم أجد تأييدًا للنظام حتى في خطبه، بل رأيت تحديًا ونقلة نوعية في الحركة الاجتماعية والسياسية الواسعة)، فقال: (إنه ساذج والنظام يستغله)، قلت: (لا أعتقد بسذاجته، بل أرى العكس في استغلاله لهم: كالجسر لهذه النتائج، كما نجد أمثلة تاريخية كثيرة، أجد بصراحة مرجعية عربية، تكتسح الساحة في وضع صعب أمام صدام، ويحاربها الخصوم والحساد في داخل العراق وخارجه، ويصعب على الخارج استيعابه)... الحقيقة أن المعارضات الإسلامية العراقية خصوصًا باقر الحكيم الطباطبائي الأصفهاني، وكاظم الحائري الشيرازي، ومحمود الهاشمي الشاهرودي، برغم خلافاتهم الشخصية الكثيرة جدًّا، والحسد الكبير بينهم، للاستحواذ على قيادة الحالة العراقية، لكنهم اتحدوا جميعًا ضد عدو مشترك لهم، وهو الصدر الثاني واتهامه بالارتباط بالنظام العراقي، وإيصال ذلك لأجهزة النظام الإيراني

القمعي، وكلنا يعلم عندما زار الصدر الثاني قم، وماذا فعل به الإيرانيون. لقد صرح باقر الحكيم بنفسه في لقائه بفيلق بدر، قائلًا: (إن السيد محمد الصدر قريب من السلطة)، وعندما سئل عن صلاة الجمعة التي يقيمها وخطبه، أجاب: (إن ذلك ليس دليلًا كافيًا، بدليل أن معاوية بن أبي سفيان كان يقيم صلاة الجمعة). وهو تشبيه غريب يشير إلى عمق الهوة بينهما. كما أشار الحكيم في مقابلة مع صحيفة الزمان اللندنية بتاريخ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٠ (نعم لدينا ملاحظات على طريقة السيد محمد الصدر منذ البداية). ولقد قدم عبد الصاحب الحكيم مذكرة علي العضاض ممثل المجلس الأعلى في جنيف إلى مندوبي ٧٠ دولة في الدورة ٥٣ للجمعية العمومية للأمم المتحدة في كانون الثاني عام ١٩٩٩، وفيها: (وأن الحكومة العراقية تساند رجل دين، لا يعترف به رجال الدين الشيعة، ولا يصلح للمرجعية). والجدير ذكره: أن حاشية باقر الحكيم ممن روجوا لتهم عديدة ضد الصدر الثاني، فقد كان مثلًا عبدالعزيز الحكيم (مسؤول الارتباط مع أجهزة المخابرات الإيرانية، مسؤولًا مباشرًا عن ذلك من جهة المجلس الأعلى)، والذي قال بأنه (مرجع السلطة)، واتهامات أخرى كثيرة، كما طبع المجلس الأعلى في إيران كراسًا تسقيطيًّا ضده، ونشره بشكل واسع وكثيف، عنوانه: (مرجعية السيد محمد صادق الصدر)، ومن ورائه صدر الدين القبانجي الذي يشير مرارًا إليه في صحيفته (المبلغ الرسالي) الصادرة في قم، ويقول مثلًا: (إن النظام الصدامي قد جعل من مرجعية محمد الصدر غطاء لمخططاته، وسوف تستخدم ضد الإسلام وباسم الإسلام)، وغيرها كثير، مثل ما كتبه القبانجي نفسه في صحيفته وباسمه بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٧ مقالًا فيه التجريح والاتهامات للشهيد، وتمجيد

للخامنئي والحكيم، ومضمون الكراس المذكور أعلاه، وفيه أيضًا: (إننا اليوم نتعامل مع ولاية الإمام الخامنئي...وادعاء ولاية أخرى للساحة العراقية في ظل حكومة صدام حسين أقرب إلى المهزلة). وغيرها كثير. حاول الصدر الثاني فتح مكتب له في قم عن طريق صهره جعفر محمد باقر الصدر، فأغلقته الحكومة الإيرانية، وحاربت أصحابه، متهمة الصدر بالعمالة، كما سجنت وعذبت بعض أصحاب المشروع. كانت تصدر من مكتب الحكيم وجرائده (لواء الصدر) (الشهادة) من إيران و(نداء الرافدين) من سوريا ولبنان، وكذلك من حاشيته خصوصًا صدر الدين القبانجي وعبدالعزيز الحكيم ومحمد باقر المهدي: (مؤسس حزب الله مع صدر الدين القبانجي وممثل سيستاني حاليًا)، وغيرهم من الاتهامات الباطلة الكثيرة ضد الصدر.

إحدى مشكلات الإسلاميين، هي أنهم يستخدمون الإسلام لمصالحهم الشخصية، ويحاربون خصومهم حتى الإسلاميين الآخرين حربًا غير شريفة، وبوسائل غير نظيفة، ومتهمين لهم شتى التهم، لكنهم بعد وفاتهم: (التي ربما كانوا سببًا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر)، إذا هم ينقلبون كليًّا، ويبدؤون بإقامة الفواتح، وتغيير اللهجة كاملًا بالمديح، وإصدار البيانات، وإطراء الثناء على المرحومين، (يقتل الشخص ويمشي في جنازته). هذا ما حصل فعلًا مع الصدر الثاني، فبعد جريمة قتله مع ولديه بشكل وحشي، بدأت القيادات الإيرانية والمجلس الأعلى والآخرون بإصدار البيانات وإقامة الفواتح عليه، وقد لقبته بالشهيد ذي النفس الزكية جريدة الشهادة عدد ٧٨٣ بتاريخ ٢٣/ ٢/ ١٩٩٩، ونداء

الرافدين عدد ١٩٦ بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٩٩. كما أقام أشد مناوئيه وهو ولي الفقيه الخامنئي فاتحة ضخمة في أكبر مساجد قم، وحضرها المسؤولون الإيرانيون، ومنهم محمدي كلبيكاني مدير مكتب الخامنئي وعلي المشكيني رئيس مجلس الخبراء، كما حضرها باقر الحكيم الذي لم يحسبها صحيحًا، فإن حزب الدعوة الذي قاد مظاهرة كبيرة للفاتحة بقيادة الداعية عامر الخزاعي، وكانت تحمل شعارات الصدر، ثم تحولت الشعارات ضد الحكيم، ثم رفعت الأحذية الكثيرة، وضرب بها باقر الحكيم في داخل الفاتحة مما جعل أجهزة المخابرات الإيرانية، تعتقل ما يزيد على الأربع مئة شخص، منهم شيخ الدعاة مهدي العطار، وكذلك عامر الخزاعي ورياض الناصري وجميل الربيعي، كما سفر البعض وطرد جملة منهم إلى العراق مما جعل إبراهيم أشيقر (الملقب خطأ بالجعفري) يبرق رسالة إلى الخامنئي، يطالب إطلاق المعتقلين الدعاة، وكذلك برقية أخرى بتوقيع عشرة دعاة في لندن، منهم الأشيقر إلى القائم الإيراني في لندن، إضافة إلى مظاهرة في السويد، رفضت تسلم رسالتها السفارة الإيرانية، لكن محمد مهدي الآصفي (الأمين العام لحزب الدعوة آنذاك، وممثل ولي الفقيه حاليًا في العراق)، أصدر بيانًا معتذرًا عن أحذية الدعاة الإسلامية، وكأنه يستذكر العدوان الآثم عليه في قم من رفاقه الإسلاميين في حزيران ١٩٩٦.

ولا يفوتنا ذكر مجيد الخوئي الذي تصدى ضد الصدر، كما كتب مقالات عديدة منها، في مجلته النور اللندنية - العدد ١٨ في تشرين الثاني ١٩٩٢، وكذلك العدد ٣٣ في شباط ١٩٩٤، وتصريحاته للحياة اللندنية في ٢٤/ ٤/ ١٩٩٨ ضده، وتسميته بمرجع السلطة. علمًا أن المؤسسات الشيعية في لندن أقامت الفواتح على الصدر الثاني، ما عدا

مؤسسة الخوئي الفارسية، التي لم تقم أي فاتحة على المرجع العربي. لقد فرح الدعاة والمجلس والشيرازية والحركات الإسلامية العراقية والمرجعيات الفارسية غير الرشيدة في العراق وإيران خصوصًا سيستاني وولي الفقيه الإيراني بموته فرحًا كبيرًا أيما فرح، حتى قال بعضهم: (خلا لنا الجو بموت الصدر...) وهذا يذكرنا بالضبط بما حصل قبله بعشرة أعوام، عندما أعدم النظام الصدامي الصدر الأول (٩ أبريل ١٩٨٠)، وفرحت مرجعية النجف الفارسية، ووزعت الحلوى والتبركات بموته.

لابد الآن من الحديث عن زعامة باقر الحكيم وقيادته المحورية للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق. من هنا يمكن تقسيم المجلس إلى ثلاث مراحل قيادية: الأولى لمحمد باقر الحكيم، والثانية بعد وفاته، واستلام أخيه حصرًا عبدالعزيز، والثالثة لابن الأخير، وهو عمار تحديدًا، وهي المرحلة التي نعاصرها، وهي أسوأ مراحل العائلة الحكيمية، وطغيانها وفسادها وتبعيتها لولاية الفقيه الإيرانية.

لا شك أن النسب العائلي والظروف المحيطة خصوصًا الاجتماعية والسياسية كان لهما دور كبير في بروز محمد باقر الحكيم، ووصوله إلى رئاسة المجلس بعد أن كانت لإيرانيين معروفين صرفًا وحصرًا: كمحمود الهاشمي الشاهرودي، رئيس القضاء الأعلى الإيراني، ثم علي الحائري صهر علي المشكيني، رئيس مجلس الخبراء الإيراني، قبل تولي الحكيم نفسه رئاسة المجلس، حيث كان الناطق الرسمي للمجلس كما شرح أعلاه. فكونه ابنًا للمرجع محسن الحكيم الطباطبائي الأصفهاني (١٣٠٦-١٣٩٠) المنحدر من عائلة إيرانية إصفهانية، والمتزوج لنسوان مختلفات،

حتى يصير (المرجع الأعلى) آنذاك، وهو اصطلاح جديد خلق في زمانه، كما قال محمد مهدي شمس الدين، وشرحه لدعم محسن الحكيم سياسيًّا ضد عبدالكريم قاسم، وضد الشيوعية، فلم يعرف الشيعة الإمامية آنذاك المرجعية العليا من قبل وهو إصطلاح سياسي جديد في تطور المرجعية أو تأخرها، كما سميتها سابقًا، علما أن محسن الحكيم قد عاصر مراجع كانوا أعلم وأفضل وأحكم منه بكثير: كضياء الدين العراقي (ت١٣٦١)، ومحمد حسين الكمباني (ت١٣٦١)، ومحمد حسين النائيني (ت١٣٥٥)، ونحن نعرف كيف تصنع نجوم وتغيب أخرى، ويرفع من لم يستحق الرفع، كما كتبت سابقًا في وصول المرجعيات العليا، وما عبر عنه محمد حسين فضل الله: (هكذا تطبخ المرجعية العليا)، وهو يقصد أموال الحقوق الشرعية والخمس والعلاقات مع تجار وسياسيين في الداخل والخارج، لا سيما بريطانيا ولا دخل للأعلمية والفضل والورع والتقوى في ذلك أبدًا، وهو ما يطرح في مرجعيات معروفة: كالخامنئي والسيستاني وغيرهما. والحقيقة في باقر الحكيم أنه ليس أفضل أخوته قطعًا، فإن من أولاد محسن الحكيم خير منه بكثير، مثل يوسف محسن الحكيم في التقوى والعلم والفضل والأخلاق والورع، حتى رفض المرجعية التي رشحه والده لها، وكأنها إرث تنتقل من الأب لابنه، فدائمًا قد يوجد من يزهد فيها، وهم قلة ولكن آخرين يزحفون إليها زحفًا بمختلف الوسائل، حتى وصلوا إليها بعد تنازلات وصفقات، كما عبر بعض المراجع. أيضًا كان مثل مهدي الحكيم خيرًا من أخيه باقر: اجتماعيًّا وأخلاقيًّا وحركيًّا، حيث كان باقر نرجسيًّا متعاليًا متكبرًا، لا يتحمل نقدًا أو ملاحظة أو تعقيبًا، وسرعان ما يكفهر وجهه، وينفعل بغضب

حتى رأيته في المؤتمرات المختلفة وأمام الملأ، وقد عاقب من يخالفه الرأي بقسوة ودون رحمة، فضلًا عن بخله الشديد، لذلك عبروا عن التقرب منه يؤدي حتمًا إلى الابتعاد عنه، كما حصل لأقرب المقربين إليه، فقد كان أكثر أرحامه مخالفًا له، وهو يعرف حجمه وتاريخه ويعيره أحيانًا، كما كان أصهرته مثل الخطيب الحسيني فاضل المالكي الذي يعبر عن عمه باقر الحكيم في السر والعلن حتى في المحاضرات بـ(ابن نوح) في عقوقه، وعدم احترام والده محسن الحكيم، وكذلك ممثلي الحكيم مثل ممثله في سوريا ولندن، كذلك ممثليه في المؤتمرات كما حصل لمحمد الحيدري، (صاحب حركة المجاهدين العراقيين في سوريا، والبنك العراقي، وحاليًا إمام جامع الخلاني ومؤسسة الخلاني) في مؤتمر صلاح الدين، بعد أن وافق على المقترحات، فوجد الحكيم أن النتيجة ليست بصالحه، فتخلى عن الحيدري وعن جميع التزاماته وعهوده ... وهي عادة مستأصلة فيه، عندما يجد النتيجة ليست بصالحه، فيضحي بمقربيه وينجو بنفسه، حيث قلة آل الحكيم معه آنذاك. كان باقر يذكر مرجعية والده دائمًا وتكرارًا كونه حكيمًا دائمًا، وهو يذكر دوره القيادي في ثورة العشرين، فسألته مرة عن عمر والده ودوره حينذاك، فأحرج، وقال لي أمام الحضور: (جدك المرجع مهدي الحيدري هو قائد الثورة، وهو أول من أفتى، ثم راسل من بغداد مراجع كربلاء والنجف، وقد خرج مع أولاده، كما ذكره المؤرخ الحسيني في كتابه الإمام الثائر، ويقصد السيد مهدي الحيدري، وأما والدي فقد كان صغيرًا جنديًّا). ومن حكمة أبيه الحكيم فيما سماه باقر باصطلاحه، (مقارعة وإسقاط القاسمية والشيوعية)، وهو يشير إلى فتوى والده بتاريخ ٢٠/ ٠٢/ ١٩٦١، القائلة: (لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي،

فـإن ذلك كفر وإلحـاد)، وما أدت إليه من جرائم وقتل وسـجون ومآسٍ وكـوارث وويـلات، كما اسـتعملها سياسـيون لأطيـاف مختلفة، بأبشـع وسـيلة، حتى قال بحـر العلوم: (المرجعية الحكيمية انتصرت على قاسـم والشـيوعيين، ولكن القوميين اسـتفادوا من ذلـك، وصعدوا على أكتافنا ونحـن الإسـلاميين لم نلتفت إلا بعد فـوات الأوان). هـذا وقد حورب عبدالكريم قاسم من قوى خارجية: كبريطانيا والشاه وجمال عبدالناصر، فضـلًا عن البعثية والقومية برغم مشـاريعه المتعـددة، وخدماته المتنوعة، ومعيشته اليسيرة، وتفقده الفقراء، والإفراج عن خصومه وأعدائه في مدة وجيزة سياسية متميزة، ولكنه قتل بشكل وحشي رهيب.

وقـد جاءني بعض السياسـيين العراقيين الحاكمين اليوم، فسـألتهم عـن فسـادهم، وما وصلوا إليه مـن امبراطوريات من المـال العام بالفلل والعقـارات والشركات والفنـادق، مع جوع الشـعب ومعاناته، ونقص الخدمـات؟! فقالـوا: (إنهـا طبيعـة الحكـم والحاكـم). فأجبتهـم: (ليس ذلـك صحيحًـا، فلـن أذكر لكـم التاريخ القديـم، لتقوى الإمـام عليّ أو زهـد الخليفـة عمر بن الخطـاب، بل خذوا مثـالًا قريبًا للحاكـم العراقي الحكم الملكي، حيث كان الحاكم بسـيطًا متواضعًا، لا يملك ... أو بعده عبدالكريم قاسم، وكم كان بسيطًا، ولم يعرف الظلم والانتقام، وقد خدم ولم يسرق شيئًا، فعاش في بيته ذاته، واستشهد، ولم يملك دنانير، وقدم في ٤ سنوات ما لم تقدموا شيئًا بسيطًا منه في ١٣ سنة عجاف، كنتم تعتمدون على المسـاعدات الاجتماعية، وتستجدون الصدقات اليومية، وتحولتم إلى إمبراطوريات طاغوتية)، فكأنما ألقموا حجرًا، وانبهروا متفاجئين قائلين:

(لم نتوقع منك ذلك الجفاء!!) وفشلت محاولاتهم المتعددة البائسة والخائبة.
والحقيقة أن لفتوى الحكيم ضد الشيوعية دوافع أخرى، فإن مشروع الإصلاح الزراعي لقاسم، الذي يعارضه الإقطاعيون المقربون من الحكيم جدًّا، والدافعون لأموال الخمس الكثيرة، هم مؤثرون في حاشيته فضلًا عن علاقة مرجعية الحكيم بالشاه، واستلامه دعمًا ماديًّا ومعنويًّا منه، لذلك لم يتحرك ضده كما تحرك ضد قاسم، وكان سببًا فيما حصل من مآسٍ وجرائم لاحقة، بسبب عدم حكمته ووعيه، وما سميته سابقًا بتحالف المرجعية والإقطاعية والساسة ضد الشعب.
كما كان لمحسن الحكيم الأصفهاني فتاوى غريبة كثيرة، مثل: كراهة التعامل والتزاوج مع أقوام كثيرين: كالأكراد مدعيًا أن أصلهم من الجن بناءً على روايات ضعيفة، لكنها موجودة في الكافي والتهذيب ومن لايحضره الفقيه، لأكبر فقهاء الشيعة الفرس، وما يسمى (أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة) فيما يشبه الصحاح عند السنة، ولا يفوتني ذكر أن محسن الحكيم بعث وكيلًا إلى بعضهم، لاستلام الحقوق والتبليغ لمرجعيته، فقال للوكيل كبير الأكراد: (تدعون أن أصلنا من الجن، وتكرهون التعامل معنا، وتمنعون الزواج بنا، وتشككون في أصولنا وكوننا بشرًا، بل نحن من الجن؟!) فرجع الوكيل بخفي حنين.
ذكرت سابقًا بأنه بعد فضائح حزب الدعوة والشيرازيين وغيرهم، صار باقر الحكيم رئيسًا للمجلس الأعلى، فحوله تدريجيًّا حكيميًّا بامتياز، وسيطر على الأسرى ومعسكر الأهواز لميليشيات فيلق بدر (سباه نوه بدر)، التابع للحرس الثوري الإيراني ومحسن الأراكي، ممثل ولي الفقيه والمسؤول عن إعدامات كثيرة في مسؤوليته محاكم المناطق العربية، وبدأت

تساعد الحكيم الظروف السياسية في إيران، ودعمه المطلق للقيادة الإيرانية وولاية الفقيه بشكل سافر، برغم تسليطهم للـ«بشتيباني» الإيراني وأجهزة المخابرات الإيرانية عليه، والتعامل العنصري ضد العرب، وعلى المجلس لإذلاله مرارًا وتكرارًا، وبمختلف الوسائل والسبل، كما ذكرت أعلاه. المشكلة هي معاناة العراقيين العرب الفظيعة والعنصرية من الفرس، وبالخصوص الأسرى وإذلالهم من قبل ليس فقط الإيرانيين، بل ممثل الحكيم نفسه، وهو صدر الدين القبانجي، حيث سموه علي كيمياوي، لإرهابه وفساده ووحشيته، وكان الحكيم يدعمه بحجة عدم وجود بديل عنه، لأن الحكيميين معدودون، والكثير من الشرفاء لايقبل التعاون مع الحكيم لأخلاقه وسياساته، حتى كتب بعضهم ممن أراده الحكيم عونًا له، فرفض قائلًا: (ليس الحكيم حكيمًا في سياسته...) قصيدة طويلة، بعثها له شارحًا أخلاقه ونرجسيته وتناقضاته وتصرفاته غير الأخلاقية وغير المقبولة بل غير المعقولة أيضًا لتناقضاتها. كان للحكيم بعض المميزات إذا قورن بمن جاء بعده كقدرته الخطابية، برغم أنها ضعفت أخيرًا، فكان عمار يقف خلفه، ليردد له ما نسيه، مما هيأ له في خطاباته العامة، كذلك دغدغة العواطف الشيعية، واستغلالها كثيرًا لدرجة قراءته لمقتل عاشوراء، وخلع عمامته بعد الاتفاق مع حمايته، في مسرحية هزلية مكشوفة، كذلك هنالك كتب عديدة تنسب له، لكن الكثير منها هي: إما سطحية ساذجة بسيطة، أو أنها تجميع لأحاديث وروايات ومقولات وأقوال أكثر من كونها تأليفًا فكريًّا، كما يعترف نفسه ويقر بذلك، أما ما يدعي من فكر فإن أكثره هو من أفكار أستاذه محمد باقر الصدر وغيره، برغم عدم الإشارة إلى هذه الحقيقة، مثلا طبع الحكيم

كتاب (علوم القرآن)، وقد أهداني نسخة منه عند تدريسي لهذه المادة في بعض الجامعات الإيرانية، لكن مرتضى العسكري زعيم حزب الدعوة اتصل بي وأخبرني في كليته أصول الدين، وهو يرغب بتدريسي هناك، بأن هذا الكتاب ليس للحكيم أصلًا، بل لأستاذه محمد باقر الصدر، وقد كتبه بيده، ولكن الحكيم بدأ يحاضر به وقتها في كلية أصول الدين ببغداد، فاقترحت عليه طباعته مرة ثانية، وباسم مجمعه (المجمع العلمي الإسلامي) وفي المقدمة يذكر ذلك، وفعلًا طبعه باسم مجمعه، وذكر ذلك في مقدمته، ومن هنا اتصل بي باقر الحكيم بعد أن أخبرته حاشيته سيئة الصيت، وكان غاضبًا جدًّا، وأول سؤاله (هل كنت صاحب فكرة العسكري في علوم القرآن؟) فقلت: نعم. ثم سألته عنما قاله العسكري بأن الكتاب ليس له بل للصدر؟ فأخبرني بأنه صحيح بنسبة ١٠ بالمئة فقط، والباقي ٩٠ بالمئة من أفكاره وإضافاته، فقلت له: إنك لم تشر إلى ذلك أصلًا، فلا يوجد اسم الصدر أبدًا، وتوضيح نسبة ما كتبه الصدر بنفسه، وهي أمانة علمية. ثم اقترحت عليه طبعه مرة ثالثة، ليوضح بالتفصيل بين الأقواس مقدار ما كتبه الصدر بيده وقلمه، فتردد أولًا، ثم قبل لاحقًا، لأن العسكري كان يتكلم بذلك مرارًا وأمام الملأ، فقد كان الخلاف بينهما كبيرًا ومعروفًا. وفعلًا كانت الطبعة الثالثة للحكيم منقحة ومزيدة باسم مجمع آخر، هو (مجمع الفكر الإسلامي) في قم، ويظهر فيه من خلال تحديد الأقواس أن أستاذه السيد محمد باقر الصدر قد كتب ما يقرب من ٩٠ بالمئة من الأبحاث، وليس ١٠ بالمئة كما ادعاه، بل يمكن ملاحظة بعض الأبحاث مئة بالمئة للصدر، وليس للحكيم فيها حرف واحد بتقريره واعترافه، مثل (القرآن وأسماؤه)، (إعجاز القرآن)،

(نزول القرآن)، (أسباب النزول)، (التدرج في النزول)، (المكي والمدني) وغيرها. ويمكن القول: إن محمود الشاهرودي وكاظم الحائري، وغيرهما من تلاميذ الصدر الأول، قد فعلا الشيء نفسه فيما نشر باسمهم، وكتبت عنه قديمًا، لكنه في الحقيقة لأساتذتهم، خصوصًا الصدر دون الإشارة إلى ذلك أبدًا، مثل أبحاث الخارج كبحث الخمس، فهو للصدر أستاذهم كما ثبت. وهو غير مقبول أصلًا وأخلاقًا وأمانة، خصوصًا في ادعاء وفاء التلميذ لأستاذه، وهم المتاجرون به وبدمه، وها هي الأيام تكشف مقدار الوفاء المزعوم والوهم الكبير والدعاية الجوفاء.

كان لباقر الحكيم دور في بروز مرجعية سيستاني، وعلاقته بحاشيته وصهره جواد الشهرستاني، فضلًا عن دور مجيد الخوئي ومؤسسته، التي تبحث عن مرجع حي يقبل بإمضاء أموالها وتصرفاتها، برغم إقرارهم بوجود فقهاء حقيقيين، أعلم وأورع وأفضل منه بكثير، كما اعترف الحكيم وهو يتحدث عن مراراته من إيران، وإذلالهم العنصري له واستخدامه لأمور قد اضطر إليها، حيث تعهد بتصديه للمرجعية في النجف بعيدًا عن إيران وعنصريتها، ومن هنا بدأ يطرح في خطاباته (لنا شأن، ولإيران شأن آخر). ووضع لقب آية الله العظمى لنفسه، تعبيرًا عن طموحه المرجعي في قلب المرجعية في النجف من فارسية سيستانية إلى عربية بزعمه وادعائه. ولكن إيران قد صرفت عليه ما يقارب من ميزانية حزب الله في لبنان، كما قال في حديث خاص وشرح أعلاه، ولها تنسيق مع مرجعية سيستاني في النجف، فلن تسمح إيران بتغيير المعادلة، كما لا تسمح للحكيم بالخروج في صفقات خارجية، خصوصًا الانفتاح

العربي والواقع العراقي خارجًا عن شروطها، ولو بنسبة معينة، وتاريخها حافل بذلك. كانت حماية الحكيم من الحرس الثوري الإيراني المحترفين وسياراتهم متميزة، ولا يسمح لأحد بالدخول بسيارته قرب خطابة الجمعة في الحرم العلوي، فجاءت سيارة للحرس الإيراني مشابهة تمامًا لسيارته بحماية إيرانية، تجاوزت كل التفتيشات والمنع، حتى وصلت إليه، فأوشك الصعود بها، فانفجرت وقتلته، كما قتلت أبرياء آخرين لا ذنب لهم. وفي ذلك عبرة لمن يتمرد على إيران أو يخالفها، ولو بنسبة معينة، ولتأتي بعميل معروف عبدالعزيز الحكيم لا يخالفها قيد أنملة، بل يطلب تعويض إيران عن الحرب مع العراق في ثمان سنوات دون وطنية، والواقع دور إيران الكبير في العراق، وتصفيتها للكثير من الشخصيات العراقيين، خصوصًا الذين اشتركوا في الحرب ضد إيران، وإفراغ للعراق من كل العقول والقيادات العربية الوطنية، وكذلك عمليات فيلق بدر التابع للحرس الثوري الإيراني، بدعم مادي ومعنوي منذ تأسيسه.

وقد سمعت بدور إيران في قتل الحكيم من سياسيين مهمين، واعتراف رجال من الحرس الثوري الإيراني، عندما هربوا من إيران، ومن طغيان ولاية السفيه. وأتفق مع الدكتور عبدالله النفيسي في اتهام إيران صراحة بقتل الحكيم في محاضرته، (موجة التغيير في العالم العربي السياق والدلالات) في شباط ٢٠١١. وأعتقد فيما أعتقده إذا سقط النظام السوري أو الإيراني، فسوف تظهر كثير من جرائم الحركات الإسلامية العراقية، وعملياتها في العراق ولبنان والخليج والعالم، وتنكشف بعض أوراق الحكيم والمجلس الأعلى وحزب الدعوة وحزب الله وغيرهم

في التحالف الثلاثي الإيراني- السوري- الأحزاب الطائفية العراقية الحاكمة في عراقنا الجريح، باسم الدين وهو منهم بريء. وبموت الحكيم حل أخوه عبدالعزيز برغم وجود خير منه في داخل المجلس نفسه، لكنها العقلية الحكيمية والإرادة الإيرانية.

إن عائلة الحكيم الطاغوتية النرجسية من أخطر العوائل على العراق ومستقبله، كما ثبت أعلاه، وهي عائلة إيرانية الأصل طباطبائية أصفهانية من مدينة أصفهان الإيرانية، وكذلك الولاء والطاعة الإيرانية، وهي تكره العرب والعراقيين، وقد عملت أقذر القذارات ضد العراقيين في إيران، كما هو معروف وعلاقتهم مع الطغاة دومًا: كوعاظ للسلاطين من الشاه، وولاية السفيه الإيرانية من أجل مصالحهم الشخصية، بعيدًا عن الدين والأخلاق والقيم وتحالفاتهم الشيطانية، ضد الشيعة العرب والشعب عامة والمحرومين.

كما كان فيلق بدر، والذي يطلق عليه العراقيون بحق (ميليشيا الغدر والطائفية الإيرانية) تحت رعاية وإشراف فيلق القدس والحرس الثوري الإيراني، وأدواره القذرة والمخططات الصفوية ضد العرب، وهكذا بعد وفاته وقتل الإيرانيين له في النجف، كما شرحته سابقًا، ليأتي أخوه الهزيل جدًّا عبدالعزيز الحكيم الطباطبائي الأصفهاني التابع كليًّا لإيران، برغم وجود آخرين ليسوا من آل الحكيم. كان عبدالعزيز هزيلًا مكروهًا من الجميع، حيث أطلقت عليه المعارضة الشيعية في إيران لقب (عزوز) احتقارًا له، بل كان أخوه باقر الحكيم يتبرأ من تصرفاته، وأحيانا يتعمّد إهانته أمام الآخرين، ليبرّأ نفسه من تصرفات أخيه السيئة، حتى كان

يسميه عندما يأتي بالشاي (مسؤول ارتباطات)، أي مسؤول العلاقات مع المخابرات الإيرانية، وصاحب الأمور القذرة، التي تطلبها إيران ليخرج من إحراجاته اللا أخلاقية واللا مسؤولة، هكذا أرادت إيران تطويع الساحة الشيعية العراقية لها كاملًا، بالمجئ بعزوز رئيسًا للائتلاف الشيعي الصفوي ٥٥٥ المدعوم من السيستاني.

عزوز الحكيم الأصفهاني هوالعرَّاب للمشروع الإيراني الصفوي، والمدعوم رقم واحد من إيران، لذلك كان وسيطًا قذرًا في حمل الرسائل الإيرانية إلى الإدارة الأمريكية، فضلًا عن رسائل سيستاني لهم.

كان عزوز عراب أتباع إيران والمرجعية الفارسية السيستانية في المشاريع الصفوية. ذهب بعض رجال مجلس الحكم المعيّن للقاء الرئيس الأمريكي بوش، فطلب عزوز الخلو بالرئيس الأمريكي، ليعطيه رسالة سيستاني السرية للتعاون معه.

كان من الطبيعي أن يحمل عزوز المشاريع الفارسية ضد العراق، منها طلب أن يدفع العراق لإيران ١٠٠ مليار دولار تعويضًا عن الحرب العراقية الإيرانية، فهل يعقل وطني يبيع وطنه بهذه الدرجة من بيع الأوطان لإيران. طالب عزوز بإقليم الوسط والجنوب كإقليم طائفي، ليكون تبعًا كاملًا للمشروع الصفوي، وبداية تقسيم العراق وحقده الدفين ضد العراق، لكن الشيعة العرب رفضوا مشروعه الصفوي الفارسي. كانت تحت أوامر عزوز المباشرة حملة التصفيات الطائفية والسجون السرية والتعذيب بالدريل وغيره، حيث كان بيان جبر باقر صولاغ وزير الداخلية الطائفي، يشرف مباشرة على تلك الجرائم، وكان

يـداوم يوميًّا في مكتب عـزوز بدلًا من وزارة الداخليـة. ولا يخفي دوره في معركـة الأمريكيـين لقصف النجف ٣ أسـابيع متواصلـة بالتوافق مع المراجـع الصفويـين الأربـع، ليذهب ثلاثة (بشـير الباكسـتاني، وسـعيد الأصفهـاني، وإسـحاق فيـاض الأفغـاني) إلى إيـران وسيسـتاني إلى أمـه لنـدن في تواطؤا مع الأمريكيين في جريمة قتلت فيه الضحايا من الشـيعة العـرب، الذيـن يراد إبادتهـم، وكان محمد رضا السيسـتاني يتصل بحازم الشـعلان، ويتواصلان مـع قصف الأمريـكان للنجف المدينة الشـيعية. وكان عزوز مكثرًا للتدخين واسـتعمال الهيروين والمخدرات، (والفقهاء الصفويون يحللونه، كما مات أحمد الخميني نجل الخميني بذلك أيضًا)، مما جعل السرطان فيه محكمًا، ولم تنفع فيه مستشـفيات أمريكا وإيران ... ولم يقـض نحبه حتى أوصى إلى ابنه عمار النرجسي، الذي يسـميه العراقيون الكتكوت، ويشبهونه دومًا بعدي صدام حسين لأخلاقه السيئة وتصرفاته غـير الأخلاقيـة. والذي لا يحترم حتى أسـاتذته لسـوء تربيتـه. لكن لماذا عمار الولد الصغير عديم الخبرة والمعلومة دون الشـخصيات الأخرى في المجلس، لأنهم ليسوا من آل الحكيم الفاسدين، وهكذا بدأت السقوطات تلوالسـقوطات حتـى في الانتخابـات، وكذلـك الانقسـامات وخـروج البعـض، ومنهم فيلق بدر، ليلتحـق العامري بكعكعة أكبر، ويحصل على وزارة المواصـلات. أصبـح عـمار صاحب إمبراطورية (مؤسسـة شـهيد المحراب) مع تفقير وتجهيل واستغفال وتخدير للأمة.

هـذا يذكرنـا بـما فعلـه المجلـس وسيسـتاني بإصـدار الفتـاوى، بأنّ القائمة ٥٥٥ هي قائمة ولاية علي بن أبي طالب باعتبار أنها الآية الخامسـة والخمسـون مـن السـورة الخامسـة، وهـي آيـة الولايـة، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وبتفسيرهم: أن الآية نزلت بحق الإمام علي، عندما أعطى خاتمه في ركوعه لذلك المسكين الداخل للمسجد والطالب للحاجة. وهذا التبليغ قام به عمار، لتجهيل الشيعة وخداعهم كذبًا، ولا شك أن الإمام علي بريء منهم ومن فسادهم.

لقد توسط عمار الحكيم عدة شخصيات لكي أدرّسه بعض الدروس، لكني رأيته متعجرفًا بائسًا خائبًا، يفتخر بجنسيته الإيرانية، ويكره العراقيين والعراق، مما جعلني لا أستمر بتدريسه لعدم أهليته وأخلاقه السيئة، وعار على من يكره العراق والعراقيين، ويوالي إيران على حساب العراق، ثم يسمي نفسه بأنه عراقي.

يعد المجلس الأعلى من أسوأ التيارات الشيعية المتعصبة، والتي تحمل الولاء الكامل لإيران في قضاياها القذرة، وتاريخها المشبوه، وهو يفسر الدعم الإيراني لهم، ليكون إمبراطورية فارسية صفوية تستعملها إيران في التبعية لها، سواء في الساحة العراقية وأخيرًا عندما وقف مع المالكي ضد إرادة الجميع، بأوامر إيرانية محضة، كما ظهر دعمهم لنظام الأسد، وتآمرهم على البحرين وشعبه الشقيق، وفق الأجندة الإيرانية.

*****

دور سيستاني وعلاقته بأمريكا وإيران

السيستاني هو رجل دين إيراني ينسب لقبه إلى مدينة سيستان (السنية) الإيرانية على الحدود الأفغانية في أقصى الحدود، التي لا يوجد فيها أحد غيره في الحوزة، ليبتعد عن أسئلة جذوره وأصله. وهو يذكرنا بحديث المرجع العربي محمد حسين فضل الله، وكذلك حديث عباس الخوئي (ابن المرجع أبي القاسم الخوئي)، وغيرهما في كيفية وصول أشخاص مجهولين مشبوهين إلى المرجعية الشيعية العليا، وعلاقة ذلك ببريطانيا.

حاشية المرجع من أولاده وأرحامه، والمستفيدون منه ماديًّا وسياسيًّا وسلطويًّا من وكلائه المتعددين والسياسيين الفاسدين الكثيرين، كلّهم يطبّلون صباح مساء، ليلًا ونهارًا، في مديحه وثنائه وتقديسه، والتسبيح بحمده وشكره، وكأنه إله والعياذ بالله منهم جميعًا. فهم يرفعونه إلى درجات العصمة والتقديس، ويمنعون ويحاربون أي نقد له ولفكره وتاريخه وسلوكه، خصوصًا والمرجعية وحاشيتها تملك الملايين، وتشتري الضمائر الكثيرة، فهي مستعدة لسماع الكلام ضد الله ورسوله، لكنها غير مستعدة لسماع كلمة عن تلك المرجعية الفارسية.

كانت المرجعيات الشيعية على قسمين: أولهما كلاسيكي تقليدي، يعنى بالفقه وأصول الفقه في كيفية استنباط الحكم الشرعي من مصادره:

كالقرآن والحديث، دون أن يؤمن بالعمل السياسي والاجتماعي، حيث إنها من مختصات الإمام المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان بعد غيابه، منذ ما يقرب ألف عام، خوفًا من المعتمد الخليفة العباسي، (برغم أن أكثر الشيعة آنذاك لم يؤمنوا بولادته ولم يروه، فانقسم الشيعة إلى ١٤ فرقة، منها ١٣ لا تؤمن بهذه الولادة الغريبة أصلًا، كما في كتاب فرق الشيعة للفقيه الشيعي النوبختي في القرن الثالث الهجري). ولا يجوز مزاحمة الإمام المهدي في مقامه بناءً على الروايات المنسوبة للإمامين: الباقر، والصادق، في أن كل راية تظهر قبل ظهورهن فصاحبها طاغوت، وتكون وَبَالًا وشرًّا على الشيعة ... وهكذا كان الشيعة لمئات السنين إخباريين، ينقلون الأحاديث، ويحرّمون الاجتهاد والتقليد ومرجعيات التقليد، وهم ينقلون أحاديث جعفر الصادق: (من قلّد في دينه هلك)، وتحريمه للاجتهاد والتقليد، واعتباره كإبليس في القياس، وهو محرّم عند الإمام جعفر الصادق.

المرجعية الكلاسيكية لا تؤمن بالعمل السياسي نظريًّا، ولا تمارسه عمليًّا، وتحتجب عن الإنظار في غيبوبة التقية، وسرداب المهدوية، حتى لا يتميز الحق من الباطل، وهي أكثر المرجعيات الفارسية التي حكمت النجف خصوصًا، (بدعوى فيها مرقد الإمام علي، والصحيح أنه مات في مسجد الكوفة ودفن في الكوفة وليس النجف)، بما يصطلح خطأ المرجعية العليا، (وهو اصطلاح نشأ بظروف معينة وفق أجندة معينة، لدعم أولاد المرجع أباهم، مقابل المرجعيات العربية الأخرى الحقيقية ودعمته بريطانيا). الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢)، الذي عاصرناه يعدّ من

المرجعيات الكلاسيكية، فهو لا يؤمن بالعمل السياسي، ولا يمارسه، ولا يعتقد بأهلية الفقيه، لذلك كما شرحته سابقًا في مقالات منشورة.

القسم الثاني من المرجعيات تؤمن بالعمل السياسي والاجتماعي، ويكون موقفها واضحًا وصريحًا، وهي تختلط بالناس، وتقابلهم بلا حواجز، وتخرج للنور في فتاواها، وتصديها وخطابها العلني بنفسها وشخصها، صريحًا مثل المرجع العربي من الكاظمية في بغداد محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)، حيث آمن بالعمل السياسي والاجتماعي، ومواكبة حركة المجتمع واحتياجاته، كما كتب في السياسة والاجتماع والاقتصاد والفلسفة والاستقراء، وتصدى في مجلة أضواء إلى كتابة مقالات سياسية جريئة، وقيادة حركة جماعة العلماء، وإصداره الفتاوى السياسية ضد حزب البعث الحاكم، ورعايته المباشرة لمختلف النشاطات الاجتماعية والسياسية الكثيرة، ولقاءاته المستمرة بالناس وبياناته السياسية والجتماعية الكثيرة، وحتى رسالته العملية (الفتاوى الواضحة): بسيطة واضحة سهلة، بعيدة عن الاصطلاحات التعقيدية... ثمّ نقد الصدرُ المرجعياتِ الفاسدة، وكتب (المرجعية الرشيدة والصالحة)، وهو يدعو إلى تحويل المرجعية من فردية فاسدة إلى مؤسسة رشيدة والاستفادة من الاختصاصات في مختلف الميادين.

ثم تلميذه محمد محمد صادق الصدر (١٩٤٣-١٩٩٩)، الذي قاد صلاة الجمعة في الكوفة، ووكلاؤه في المناطق الأخرى، وتصديه المعهود لمختلف النشاطات واللقاءات الاجتماعية والسياسية، وكتبه في المواضيع المختلفة والمتنوعة، وتقسيمه للمرجعية إلى قسمين: المرجعية الصامتة أمام

جميع المشكلات الاجتماعية والسياسية ومختلف الاحتياجات. والقسم الثاني: المرجعية الناطقة المتحركة حول مختلف الاحتياجات السياسية والاجتماعية وغيرها. كما قام الصدر بنقد السيستاني كثيرًا واعتبر مرجعية السيستاني صامتة ساكتة، ليس لها أي دور إيجابي فيما يحتاجه المجتمع، بل سلبي متهمًّا السيستاني بارتباطه بالنظام الصدامي، وفعلًا كان السيستاني معروفًا بالفتاوى الجاهزة للنظام حتى آخر رحيله ٢٠٠٣.

أمام هذين الاتجاهين الواضحين يظهر موقف ثالث ضبابي غريب وخطير جدًّا بين الموقفين، وهو مرجعية سيستاني التي هي من جهة بنت المرجعية الكلاسيكية لأستاذه الخوئي، وأمثالها المعروفة بعدم إيمانها بالعمل السياسي إطلاقًا: فقهًا وفكرًا وتاريخًا، ورسالتها العملية الفقهية (منهاج الصالحين) هي رسالة الخوئي نفسها (منهاج الصالحين)، بتغييرات بسيطة جدًّا، لا تدلّ على علميته، فضلا عن أعلميته المزعومة. وهي أيضًا صامتة، كما نعتها الصدر الثاني، فينبغي لها حينئذ نتيجة لكل ما آمنت به هو عدم التدخل أصلًا في العمل السياسي وعدم لقاء القيادات السياسية في الداخل والخارج، والابتعاد عن غير اختصاصها تمامًا، وهي فارسية بحتة بعيدة عن العراق وهمومه وتطلعاته، وحتى لغته في درسه بالفارسية ولا يجيد العربية برغم طول مدة إقامته، ومصادر الشريعة من القرآن والحديث هي باللغة العربية. لكن العجيب الغريب أنها بدأت تمارس أقصى الدور السياسي فيما هو أشبه بولاية الفقيه إلى حد كبير، حيث باتت قراراتها الخطيرة وإرشاداتها ولقاؤها بأكبر السياسيين في الداخل رؤساء الكتل والزعامات السياسية، وكذلك الخارج بلقاء

ممثل الأمم المتحدة والجامعة العربية وغيرهما، وتصدرها أمورًا كثيرة، تتعلق بالعراق ومصيره: كالانتخابات والدستور والعملية السياسية، بل دورها في تشكيل الائتلافات الشيعية الطائفية الفاسدة الحاكمة، منذ ائتلاف ٥٥٥ وصورة سيستاني عليه ودعم وكلائه، وأساس تكوينه والفتاوى في وجوب انتخابه، حتى لا يحصل السنة على الكعكة، وما يشيعه وكلاؤه وحاشيته وخطباء الحسينيات، وكذلك التحالف الشيعي الطائفي، ما يسمى خطأ بـ(الوطني)، الذي تشكل بعد الانتخابات لمنع علاوي وكتلته العراقية الفائزة بأعلى أصوات، وحجبها من الحصول على حقوقها، باعتبارها قائمة سنية، كما زعموا، ويبدو أن الاجتماع في بيت سيستاني، وبرعاية نجله محمد رضا السيستاني، لجمع الأحزاب الشيعية، وتكوين التحالف الشيعي، وبرعاية إيرانية من ممثل ولي الفقيه (الآصفي وسليماني)، وإضافة قائمة إيرانية، وما تسمى (المحسوبون على المرجعية)، وهي رجالات عرفت بولائها لإيران، وصار لهم الدور البارز في العراق المنكوب وفساده الكبير.

كما شرح بريمر في كتابه (سنتي في العراق) العلاقات والتعاون مع سيستاني من خلال وسائط معينة، وشكره وامتنانه للخدمات والتعاون. لذلك كان لسيستاني الدور الكبير في تخدير الشيعة في الكثير، مما وصل إليه العراق من فساد وظلم واستغلال. يبدو أن الوسطاء بين سيستاني والأمريكان مثل عبدالعزيز الحكيم وأحمد الجلبي وموفق الربيعي وعادل عبدالمهدي ومحمد بحر العلوم وحسين إسماعيل الصدر وعماد ضياء الخرسان. ويقول بريمر: إنه تسلم ما يقرب ٣٠ رسالة، كما ذكر بعض

المصادر أعلاه ويذكر رسالة من السيستاني، وفيها أن المرجع: (معجب ببريمر، وهو يقدر الفرصة للعمل معك من أجل مستقبل العراق)، كما يبدو أنه لايريد الاتصال مباشرة، لأنه يضر بسمعته، لكنه من خلال وسائط كعماد الخرسان وموفق الربيعي وحسين الصدر أعلاه.

كما أنّ عادل عبدالمهدي أعلن مرة في واشنطن: أنه يحمل رسالة من السيستاني إلى الرئيس الأمريكي، وقبلها يتحدث البعض عن رسالة حملها عبدالعزيز الحكيم من سيستاني إلى الرئيس الأمريكي، عندما ذهب الحكيم مع بعض مجلس الحكم، وطلب الانزواء مع الرئيس الأمريكي بعيدًا عن الأعضاء الآخرين، برغم أنّ إضافة الحكيم للوفد كانت في اللحظات الأخيرة للوفد، والحكيم معروف بعلاقاته التاريخية القوية والمصيرية مع خامنئي ونظامه الإيراني والأجندة الإيرانية،

كما أن حسين إسماعيل الصدر وكيل السيستاني (بيت السلام، والحوار الإنساني، ومؤسسات كثيرة ظهرت بعد ٢٠٠٣، ولم يكن يمتلك شيئًا قبلها أبدًا)، قد اشتهر بولائمه وقبلاته للسفير الأمريكي، والحاكم المدني للعراق بول بريمر ووزير الخارجية الأمريكي كولن باول واستقبالهم الفخم وغيرهم، كان يمثل حلقة في الوصل كما يزعم البعض.

السيستاني في تعامله مع السياسة ضبابية وعدم وضوح وخلط للأوراق، فليس واضحًا وصريحًا. فلا يخرج سيستاني بنفسه في صلاة جمعة ولا جماعة، ولا لقاءات فضائية وإعلامية مع الناس. على عكس المرجعيات العربية: كمحمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠)، ومحمد محمد صادق الصدر (١٩٤٣-١٩٩٩)، المؤمنَين بالعمل السياسي

والاجتماعي وممارسته. ومن جانب آخر ليس سيستاني كأستاذه خوئي الفارسي أيضًا، والمرجعيات التقليدية الكلاسيكية، التي لا تؤمن ولا تتدخل في السياسة، ولا تلتقي بأحدهم في الداخل والخارج. فسيستاني برغم عدم معرفته وتخصصه بالسياسة ومتعلقاتها وعدم إيمانه فقهيًّا بها على نحو أستاذه الخوئي، لكنه يتدخل في عمق الأحداث السياسية، وله دور كبير في الانتخابات والدستور والائتلافات الشيعية الطائفية الحاكمة والعملية السياسية، ولقاء أكبر السياسيين برغم عدم وضوح ما يقوله مباشرة، فهو لا يظهر في الفضائيات، ولا يصوّر لقاءاته، ولا يخرج بنفسه لخطب الجمعة والجماعة، واختلاف التصريحات حول لقاءاته وآرائه، فإذا أثارت مخاوف معينة، فإنّه سرعان ما يتمّ نفيها من وكلائه وحاشيته، مثل الصافي والكربلائي في كربلاء من خلال خطبهم يوم الجمعة... فهي ضبابية غائمة باحتراف الفرس وتقيّتهم، تعيش في الظلام، وتخاف النور، لأن النور يفضحها، ويكشف سوآتها وعوراتها.

بمقارنة بسيطة بين الاحتلالين للعراق، بين الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤، وبين احتلال ٢٠٠٣. فالاحتلال البريطاني في القرن الماضي، حيث أصدرت المرجعيات الشيعية والسنية الفتاوى ضد الاحتلال، وتصدوا للقوات الغازية، مثل جدّي المرجع العربي مهدي الحيدري (١٨٣٤-١٩١٧) من بغداد، إضافة لكونه صاحب أول فتوى عام ١٩١٤ ضد الاحتلال، وخطبَ في صحن الكاظمية، (فيها مرقدا الإمامين: موسى الكاظم، ومحمد الجواد) ببغداد خطاباته التاريخية، والذي قاد الثورة حقيقة بكل شجاعة وإباء، ثم مراسلته المراجع

الآخرين في كربلاء والنجف وسامراء وغيرها لتحريكهم، فقد خرج أيضًا بنفسه، وهو يناهز الثمانين عامًا مع أولاده حاملًا البندقية، مقاتلًا الاحتلال، وهذا ما لا يذكره المعاصرون المطبّلون دائمًا لدور المرجعيات الفارسية، مهملين دور المرجعيات العربية، حتى رأيت عشرات المقالات والكتابات حول ثورة العشرين، وهي تهمل المراجع العرب: كالحيدري والخالصي والحبوبي، وتذكر فقط الفرس ومراجعهم بسبب السيطرة والهيمنة الفارسية في تحريف التاريخ، ومسح التاريخ العربي، وتزييفه لمصلحة الفرس والأجندة الخارجية، حتى يومنا المعاصر، وهو يجانب الحقائق التاريخية للحقيقة التاريخية.

وعندما نرجع إلى المصادر التاريخية المهمّة فقد كتبَ عن (مهدي الحيدري) العديدُ من المؤرخين المنصفين، منهم المؤرخ المعروف والمختص أحمد الحسيني كتابًا خاصًّا، أسماه (الإمام الثائر مهدي الحيدري) بالوثائق والمستندات، معتبرًا الحيدري هو القائد الحقيقي للثورة ومنذ عدة سنوات، أي عام ١٩١٤، وليس عام ١٩٢٠، كما يشيعه الفرس للتغطية على المراجع العرب الأوائل. لقد خرج الحيدري بنفسه للثورة لسنوات الثورة الأولى، وفي جنوب العراق عند جبهات القتال الإمامية، وعرّض حياته للخطر مع أبنائه وأسرته ومريديه، لمقاتلة الإنكليز بكل بسالة وشجاعة وإباء. وقد ذكرَ أيضًا مرجعية مهدي الحيدري ودوره وحياته جملة كبيرة من المؤلفات، منها أعيان الشيعة، معارف الرجال، الكرام البررة، نقباء البشر، جنة المأوى، أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة، معجم رجال الفكر والأدب، الثورة العراقية الكبرى، تاريخ

الحركة الإسلامية في العراق، الشيعة والدولة القومية، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية، حركة الجهاد١٩١٤، البطولة في ثورة العشرين، كتاب في دوري الاحتلال والانتداب، ولمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، وغيرها. فضلًا عن الكثير من الجرائد والمجلات والصحف، مثل: المرشد، الأقلام، صوت الكاظمين، آفاق عربية، وغيرها.

ومن المهم جدًّا فهم الخلفيات والإعداد والتهيئة للثورة قبل قيامها من الوعظ والتوعية والإرشاد والقيادة لمهدي الحيدري منذ ١٩١٤ وليس ١٩٢٠، حتى نضجت الثورة، واكتملت شرائطها الموضوعية، كان المرجع الحيدري والخالصي وغيرهما من المراجع العرب في بغداد يدعون إلى الوحدة الحقيقية بين السنة والشيعة، فعندما اشتعلت الفتنة الطائفية آنذاك في كربلاء، لم يقبلوا حكمًا غير مرجعية مهدي الحيدري، الذي أسرع بنفسه إلى مدينة كربلاء، لإطفاء الفتنة، وتوحيد السنة والشيعة، وقد خطب فيهم شارحًا أنهم أخوة لدين واحد، ونبي واحد، وقبلة واحدة، ولا ضير في الاختلافات الجزئية الفرعية الفقهية: كإسبال اليد، التي لا تضر بالإيمان ومبادئ العقيدة، وبقي في كربلاء حتى أزال الفتنة ووأدها.

وعندها يبرز السؤال: لماذا يسيطر المراجع الفرس على المرجعيات الشيعية، ونحن نعلم الكفاءات العربية، وتميزها، وإخلاصها للوطن، ومواقفها المشرفة.

أما قوات احتلال العراق عام ٢٠٠٣ فلم تكن المرجعيات الفارسية بمستوى الحدث، حيث أفتى سيستاني بعدم مقاومة الاحتلال منذ بداية الغزو، بصفته مرجعية صامتة ساكتة لا يتحدث ولا يخاطب الناس، (كما قال المرجع العربي محمد الصدر)، فقد أعلن فتواه عدم مقاومة الاحتلال مجيد الخوئي (نجل المرجع الفارسي الخوئي ذي الأصل الهندي كما قال عباس الخوئي): الذي جاء على الدبابة الأمريكية وقتله بعض الشيعة في النجف عام،٢٠٠٣. إن الخوئي هوالرجل الذي أعلن فتوى سيستاني مع الاحتلال، هو نفسه الخوئي الذي أعلن للعالم من قبلُ في مجلته النور الصادرة في لندن، مرجعيةَ السيستاني وسوّقها بعد صفقة في لندن.

وهكذا قام السيستاني بعد تسويقه من قبل ولاية الفقيه والإيرانيين والأمريكان والبريطانيين وحلفائهم بوصفهم مرجعية عليا، في تخدير الشيعة ومنعهم من مقاتلة القوات الغازية، وهكذا كانت القوات المقاومة للاحتلال من الجانب السني، أولًا ثم الجانب الشيعي العربي، غير التابع للمرجعيات الفارسية آنذاك. لذلك كان لابد من التواطئ بين سيستاني والقوات الغازية، كما ظهر في ضرب النجف لثلاثة أسابيع بعد خروج سيستاني إلى لندن، استجابة لطلب القوات الغازية، لتخلو الساحة للأمريكان في قصف المدينة الشيعية «المقدسة» النجف.

علاقة سيستاني بالنظام الصدامي كانت واضحة، وكان جاهزًا سريعًا في تلبية النظام بالفتاوى الجاهزة السريعة، بلا تردد حتى آخر لحظات سقوط النظام ٢٠٠٣، كما كانت معلنة بالتلفزيون الرسمي، فلم يعهد عنه موقفًا مشرفًا أو دفاعًا عن الفقراء أوالعراقيين أبدًا.

لم تظهر مرجعية سيستاني بعد وفاة الخوئي ١٩٩٢ لعدم أهليته، لذلك ظهرت مرجعيات عديدة لسنين عديدة، مثل عبدالأعلى السبزواري ومحمد محمد صادق الصدر وغيرهم، فإنه لم يعهد اجتهاد سيستاني من أستاذه الخوئي إطلاقًا حتى وفاته، ولكن ظهرت مرجعيته بالصفقة: (القذرة كما سمتها بعض المرجعيات العربية). أن الصدر الثاني قد نقد سيستاني بالاسم في خطب الجمعة والمقابلات، واعتبرت الكثير من المرجعيات عدم أهلية سيستاني لذلك، وهو ما شرحته سابقًا.

وشرحت أيضًا ما كتبه السفير الأمريكي بول بريمر في كتابه (سنتي في العراق) عن رسائل سيستاني الثلاثين عن الوسائط مع بريمر، مثل حسين إسماعيل الصدر (بيت السلام والحوار الإنساني ومشاريع كثيرة ظهرت بعد ٢٠٠٣، حيث لم يمتلك قبلها شيئًا، واشتهر بقبلاته وعزائمه الضخمة للمسؤولين الأمريكان، مثل بريمر وكولن باول)، وموفق الربيعي (مسؤول الأمن الوطني المعين من قوات الاحتلال) وغيرهم مما يجعل العلاقة مع قوات الاحتلال أحد مصادر قوته وسلطته، فضلًا عن ملايين الأخماس والدعم الإيراني وغيرها.

يسأل البعض في كيفية صعود مرجعيات فارسية، يعتقد أنها لا تملك شيئًا في تاريخها وعلمها وورعها، كما يقول بعض المراجع إلى ما يصطلح عليها اليوم بـ (المرجعية الشيعية العليا) مع وجود مرجعيات عربية أصيلة، أكثر أهلية وإيمانًا وصلاحًا وخدمة ومعرفة، كما ذكرها المرجع العربي محمد حسين فضل الله.

السؤال أيضًا حول مرجعية السيستاني في سيطرته وسطوته حتى باتت بوابة سيستاني قبلة للسياسيين الكبار من الداخل والخارج، بل الكثير من السياسيين الفاسدين الحاكمين اليوم للقاء سيستاني، برغم أن المقابلة غير مصورة أصلًا، ولكنه يخرج من البوابة أمام الفضائيات، ليعلن لقاءه بسيستاني، وقد يذكر دعم سيستاني له، وكأنه يعطي صبغة شرعية لمن لا يمتلك أهلية. في الحقيقة ربما يلتقي السياسي والمسؤول بابنه أي محمد رضا سيستاني، وليس الأب الذي يحبذ تقبيل الأيادي على الطريقة الفارسية التقديسية، خلافًا لسيرة الرسول الأكرم القائل: «**إن تقبيل الأيادي هي حماقة من حماقات الأعاجم**»[1] في جملة من الأحاديث والسيرة، بينما كان الرسول يختلط بالناس، ويأتي الأسواق، ويخطب في الجمعة والجماعة، وكان الغريب لا يميّزه، لتواضعه حتى يقول الغريب: (أيكم محمد؟)، لعدم تمايز النبي على العكس تمامًا في مرجعية سيستاني المخالفة صراحة لسيرة الرسول والأصحاب والآل والقرآن الكريم.

تكونت إمبراطوريات من حاشية المرجعية، ودورها السياسي، لا سيما محمد رضا سيستاني نجل سيستاني، وصهراه جواد الشهرستاني (مؤسسة آل البيت) ومرتضى الكشميري (مؤسسة الإمام علي) وممثلاه عبدالمهدي الكربلائي وأحمد الصافي في كربلاء، ووكلاؤه في أنحاء العالم من السلطة والمال والسطوة والنفوذ السياسي، ولم يكن لبعضهم أي أهلية، ولا يملك شيئًا معهودًا من قبل وجود مرجعية سيستاني، وصعودها على أكتاف الفقراء الشيعة، ليصبح اليوم كل واحد منهم

(١) لم أجده.

امبراطـورًا، يملـك المليـارات والعقـارات والتجارات والـترف التبذير والإسراف، كما بات من قبله حاشـية خوئي وأبناؤه والعديد من وكلائه. وفيها إشـكالية الخمس، ولا يعلم أحد الصـادرة والواردة، وأين تذهب مليارات الأموال؟

أمّـا الأوقـاف والأخمـاس والحقـوق الشرعيـة فهي بالمليـارات، لا تذهـب للفقـراء والمسـاكين والمحتاجـين، وقام سيسـتاني بتعيـين صالح الحيدري، (كان موظفًا بسـيطًا في دائرة صندوق التقاعد) رئيسًـا للوقف الشـيعي ليتحـول إلى مليونير برغم أن الأخير لا يمتلـك أهلية من العلم أوالـورع أوالنزاهة أوالكفاءة أصلًا، مما جعل الوقف الشـيعي يمثل رقمًا عاليًا في الفسـاد المالي والإداري والسـياسي، فضلًا عن امتداده وسيطرته على الأوقاف السـنية، مثل سـامراء وغيرها بعنوان استنقاذها من السنة، كأنهم غير مسلمين، وكما شرحته سابقًا.

والسؤال المطروح: ما هي مواقف سيستاني السياسية أمام الأزمات الكبيرة؟

كذلـك صمتـه أمـام أزمـات عظيمـة وكبـيرة، وسـجون العراقيـين والعراقيات، وهتك أعراضهم وحرمهم، وسرقة أموالهم، وتهجيرهم، وقتلهم.

ومتى يتحرك؟ وأين يتحرك؟ وكيف يتحرك؟ ولماذا سافر إلى لندن ٣ أسابيع كاملة؟ عندما طلبت قوات الاحتلال قصف النجف الشيعية.

ولماذا مشـاريعه الكبيرة والعظيمة في إيران دون العراق، الذي ينعم بـه، والحاجة الماسـة للمؤسسـات والخدمـات والمستشـفيات في العراق الجريح والمنكوب؟

ولماذا أعلنت مرجعيته في لندن وصفقتها، ومن وراءها، ليصل مجهول مثل سيستاني إلى ما يسمى اليوم بالمرجعية الشيعية العليا، وارتباطها بالقوى الخارجية.

وموقفها من المرجعيات العربية، مثل محمد حسين فضل الله.

ويمكن إضافة وثائق ويكيليكس كفضائح لهذه المرجعية.

يظهر أيضًا دور سيستاني للسياسة في تشكيل الائتلاف الشيعي الأول ٥٥٥، واعتباره ولاية أمير المؤمنين (الآية الخامسة والخمسون من السورة الخامسة)، والفتاوى الجاهزة في تطليق من لم ينتخبهم، ثم التحالف الشيعي، ومنهما يخرج رئيس الوزراء بالتوافق مع إيران، من خلال ممثل ولي الفقيه محمد مهدي الآصفي، وهو نفسه زعيم حزب الدعوة في مرحلة ما قبل إبراهيم (جعفري) الإشيقر. برغم أننا يمكن رؤية سورة المنافقين في الصفحة ٥٥٥ من القرآن مما يجعل الكثير من الشيعة الآن: يعتقدون بصفة المنافقين، فيمن تسلل للحكم باسم الشيعة والإمام علي، والحال أنّهم لم يقدموا شيئًا سوى السرقة والنفاق والفساد والظلم.

تعيين رئيس الوزراء في العراق يتم في بيت سيستاني، بين محمد رضا السيستاني، وممثل ولي الفقيه في العراق محمد مهدي الآصفي، (الإيراني زعيم حزب الدعوة قبل إبراهيم الجعفري الأشيقر)، والساكن جواره في نفس الشارع والزقاق، وبالتعاون مع قاسم سليماني، رئيس فيلق القدس الإيراني (حاملًا أوامر خامنئي إلى الآصفي، الذي يحملها إلى بيت السيستاني لتنفيذها)... هكذا تعين الأشيقر (الجعفري)، ثم المالكي

(العلي ذي الأصل اليهودي كما تكشفه الوثائق)، وبقاء المالكي رئيسًا للوزراء بوصفه طائفيًّا تابعًا للأجندة الإيرانية، وقد ظهرت فتاوى الآصفي لصالح المالكي مرارًا، وقد شرحت ذلك سابقًا، حتى في تنازل الجعفري للمالكي بإشراف الثلاثة: أعلاه سيستاني، والآصفي، وسليماني. وهم يرددون زورًا نمنع النواصب (يقصدون السنة) من حكم العراق، ليصير العراق ضيعة طائفية فاسدة، تابعة لإيران ولاية الفقيه الدكتاتورية الفاسدة.

وهكذا يكون السيستاني وابنه محمد رضا بالتوافق مع الآصفي ممثلًا ولي الفقيه، الدور الكبير في وصول السياسيين الفاسدين، وما وصل إليه العراق من النهب والفساد وتكوين إمبراطوريات مليونية فاسدة، تسرق من المال العام، لتحويله إلى عقارات وفنادق وتجارات وفلل في أوربا وأمريكا وإيران ولبنان والخليج العربي، ومختلف بقاع العالم، وهنا يتحمل سيستاني الكثير في إيصال ودعم وتعيين هؤلاء وتشجيعهم، خصوصًا الدعم المباشر والعلاقات مع محمد رضا نجل سيستاني وصهراه ووكلاؤه، الذين باتوا إمبراطوريات حاكمة في السياسة والاقتصاد والفساد.

علاقة سيستاني مع إيران خصوصًا ولي الفقيه والزعماء الإيرانيين من أهم الأمور السياسية المعاصرة، فلم نعهد له خلافًا مع خامنئي بل تنسيقًا في المواقف، سواء في تكوين التحالفات الطائفية الشيعية الحاكمة، وحتى تعيين رئيس الوزراء العراقي من الشيعة المحسوبين على إيران، وأجندتها في مختلف المرافق، خصوصًا النفط العراقي، وحسين الشهرستاني قريب جواد الشهرستاني (صهر السيستاني)، الذي تم تعيينه بواسطة محمد رضا السيستاني، والكل يعلم فساد وزارتي النفط

والكهرباء لحسين الشهرستاني. حسين الشهرستاني هو رجل إيران، والسيستاني والمالكي لخدمة المشاريع الإيرانية. جاءني حسين الشهرستاني عام ٢٠٠١، وهو يعرض عليّ مشروعًا ظاهره إغاثي للعراق... وعندما سألته عن تفاصيله حاول التهرب عن الأجوبة، وظهر تلعثمه وارتباكه واحمرار وجهه، ليظهر مشروعًا غريبًا مريبًا، له علاقة بأجندة خارجية. حسين الشهرستاني هو أحد رجال السيستاني وإيران المهمين في العراق من السياسيين، الذين رشّحهم محمد رضا سيستاني أيضًا، هو خالد أبا ذر العطية، الذي عاش في إيران، وشغل سنين عديدة مسؤولًا في مكتب محمود الهاشمي الشاهرودي، (رئيس القضاء الإيراني ورئيس المجلس الأعلى العراقي، لدورتين قبل تعيين باقر الحكيم). قام العطية بالطرد من مؤسسات التحقيق، كلَّ العراقيين الذين لا يحملون أصلًا إيرانيًّا أو جنسية إيرانية. برغم أن تلك المؤسسات تحتاج إلى اللغة العربية، وحاجة العراقيين الفقراء جدًّا للمعيشة، وهم يعانون العنصرية من دولة إيران، التي تدعى الإسلام زورًا. ثم بعثت المخابرات الإيرانية خالد العطية إلى بيروت، لاستلام مسؤولية مؤسسة الغدير، والتنسيق مع حزب الله التابع لهم. ثم سافر العطية إلى لندن في سنة ٢٠٠٠، ليستلم المؤسسات الرسمية الإيرانية بصفته وكيلًا لنائب ولي الفقيه: محسن الآراكي في المركز الإيراني الرسمي ومجلته ومؤسسته. بوصفه تابعًا إيرانيًّا مكشوفًا للأجهزة الإيرانية الرسمية. ثم تعاون مع الاحتلال وأوامر إيران دخل في الحكومة العراقية وصار نائبًا لرئيس البرلمان، مانعًا المحاسبة والرقابة عن دور البرلمان العراقي، كما كشفه بعض النواب. ثم ليمثل الديوانية زورًا وظلمًا، وابنه في السفارة العراقية بلندن، لكن الديوانية الصامدة

رفضته وطالبت بسقوطه وخرجت بمظاهرات عارمة تهتف: (يسقط خالد العطية الكذاب)، (خالد العطية الدجال لا يمثّلنا)، (يسقط العطية وسيده المالكي وأسيادهم الإيرانيون). وهنالك أمثلة كثيرة لأتباع أيران، الذين عيّنهم محمد رضا سيستاني وفق الأجندة الإيرانية.

والسؤال الذي يطرحه البعض عن موقف سيستاني من الجرائم الإيرانية أوالتجاوز الإيراني على الأراضي العراقية: كاحتلال الفكة أوالتدخل الإيراني في العراق والبحرين والمنطقة، لم يكن معارضًا، بل مؤيدًا خصوصًا مسألة سوريا والبحرين، فوكلاء سيستاني وأصهرته قد أقاموا الدنيا ضد حكومة البحرين، لإسقاطها وتسليمها لإيران ولاية الفقيه، بينما لا زالوا داعمين لنظام الأسد برغم جرائمه الوحشية الكثيرة. هذا كله وغيره مما يجعله طائفيًّا بامتياز، وتابعًا لسياسة ولي الفقيه الإيراني، ومعاييره المزدوجة غير الأخلاقية.

صمت سيستاني أمام جرائم النظام الإيراني الكثيرة جدًّا ضد الشعب الأحوازي والكردي والأقليات، بل الشعوب الإيرانية الشريفة التي تعاني من هذا القهر والاستبداد، والانتهاك الكبير لحقوق الإنسان، والظلم والدكتاتورية حتى باتت الشعوب الإيرانية تترحم على الشاه وأيامه، ويخرج من الدين الإسلامي أفواجًا أفواجًا.

لقاء سيستاني بالمسؤولين القادمين من إيران خصوصًا رفسنجاني ومسؤول البرلمان وغيرهما في تعاون واضح، يظهر في بوابة سيستاني ودورها السياسي يطرح الكثير: ما هي مواقف سيستاني السياسية أمام الأزمات الكبيرة، كذلك صمته أمام أزمات عظيمة وكبيرة في

العـراق، فليـس هنـاك موقف سيسـتاني أمام الأزمـات الكثـيرة الكبيرة لمحن العراقيين: كالسـجون السرية، واحتـلال الإيرانيين للفكة وغيرها، وعشرات الجرائم اليومية... إنها صامتة صمت الأموات، فهي لا تتحرك إلا عند مصالحها الشخصية، مقابل منافسيها من الشيعة.

وأمـا حجـة سيسـتاني في تركـه النجـف إلى لنـدن فهـي الفحـص والعـلاج، وقـد كان بكامل صحته وقوته، كما شـاهدناه، وكما أوضحتها الوثائـق، وكشـفتها ويكيلكـس في فضائحهـا، وكان يمكنـه الفحص في بـيروت، وقـد صرف الملـيـارات من الخمـس وأموال الفقراء والمسـاكين والـترف المهول والبذخ الهائـل جدًّا، وقد جاء ابنه محمـد رضا وأصهرته جـواد الشهرسـتاني ومرتـضى الكشـميري وأرحامـه بطائـرات خاصة، ومصاريـف الملـوك، ولقـاءات مشـبوهة. لمـاذا لا تـصرف الملايـين على الفقراء الشـيعة الذين يطردونهم؟ ولماذا تصرف على الأهواء الشـخصية والتبذيـرات الرهيبة؟ وقد تعجب أن بعض موائدهم كانت موائد الملوك في تبذيرها وإسرافها وأنسها.

أفـادت مصادر مقربة أن محمد رضا سيسـتاني كان يتصل يوميًّا من لندن مع حازم الشـعلان وزيـر الدفاع العراقي، لمعرفـة التقدم في قصف الأمريكان للنجف، حتى بقي السيسـتاني ثلاثة أسابيع في لندن لافتراش الموائـد العظيمـة في أكسـفورد وسـتانمور وغيرهمـا، وقـام أيضًـا بلندن بزيـارة جواد التبريـزي: (المرجعية الفارسـية القادمة من قـم، والمعروفة أيضًا بمحاربتها للمراجع العرب، وتسـقيط مرجعية محمد حسـين فضل

الله)، وغيره ولم تنته قصة النجف، والباقي معروف كاشف عن مستوى السقوط، التي تعيشها المرجعيات الفارسية الفاسدة.

وها هي مشاريعه الكبيرة والعظيمة في إيران دون العراق، الذي ينعم به، والحاجة الماسة للمؤسسات والخدمات والمستشفيات في العراق الجريح والمنكوب.

ولماذا أعلنت مرجعيته في لندن وصفقتها ومن وراءها، ليصل مثل السيستاني إلى ما يسمى اليوم خطأ بالمرجعية الشيعية العليا؟

أين تذهب مليارات الخمس، وهي بلا صادرة وواردة، لا حساب ولا كتاب، وملايين الشيعة فقراء مساكين لايحصلون على شيء؟

ثم حاشية السيستاني وأرحامه ووكلاؤه الذين سلّطهم على الأمة، وصاروا إمبراطوريات، يمتلكون المليارات، هل يمتلكون شيئًا من الورع والعلم والزهد، أم عكس ذلك تمامًا؟ وما هي المعايير الأخلاقية، وبمقارنة بسيطة قبل مرجعية السيستاني؟ أين كانوا؟ وكيف كانوا؟ فمن أين لهم هذه المليارات؟ وقد كان رسول الله ﷺ فقيرًا زاهدًا متواضعًا، يعمل بيده في الزراعة والتجارة، ولم يورث مالًا، ولا درهمًا. وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، فأين هم من القرآن والسنة والأخلاق والقيم؟

يتساءل البعض عن حقيقة السيستاني: هل هو حي موجود فعلًا أم لا؟ خصوصًا لم نره ولا نسمعه يتحدّث في أي فضائية إطلاقًا، ولا يظهر

له لون أو طعم أو رائحة، وحتى لا وجود للإعلام في كلمة أو خطبة، ولا حتى اللقاءات العامة أوالخاصة في عصر الفضائيات والإعلام والعولمة.

حتى لو رجعنا إلى عصر الأنبياء فإنّهم يمشون في الأسواق، ويخدمون الناس، ويصلون جماعة بالناس، ويخدمونهم ولم يغتنوا من أموال الناس ... فالتباين رهيب جدًّا بينهما، لأن الرسول أسوة، ينبغى للعلماء الاقتداء به، و﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وكان يصلى الجمعة والجماعة بالناس ويختلط بهم في السراء والضراء، حتى إن الغريب لايعرفه لعدم تمايزه عليهم،فيسأل الغريب (أيّكم محمد؟) حيث لم يميزه في موقعه أو جلسته لتواضعه وزهده وقربه من الأمة واندكاكه في المجتمع، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقد كان الرسول أكثرهم خدمة قائلًا: «**خير الناس من نفع الناس**»، وقد اشتغل بالتجارة والزراعة وغيرها، ولم يكن غنيًّا أو يأخذ أموال الآخرين. ولو جئنا إلى علماء السنة: كإمام الأزهر، وإمام الحرمين الشريفين، ويوسف القرضاوي، وأحمد الكبيسي، ومهدي السعدي، ورافع الرافعي، ومحمد العريفي، وعبدالعزيز آل الشيخ، وأحمد الطيب، وعلي جمعة، وغيرهم، حيث تطول القائمة، فإنا نجدهم يختلطون بالناس ويجيبون على الهواء الفتاوى ويخطبون أمام الناس في الجمعة والجماعة ويتفاعلون مع قضايا الناس ومسائلهم وهوالمرجو منهم في مواقعهم ومناصبهم كما كان مراجع شيعة عرب مثل محمد باقر الصدر ومحمد

محمد صادق الصدر ومحمد حسين فضل الله ومحمد حسين كاشف الغطاء ومحسن الأمين ومهدي الحيدرى ومهدي الخالصى ومحمد مهدي شمس الدين ولكن سيستاني لايظهر إطلاقا في جمعة ولا جماعة ولا خطبة ولاخطابة خلافا لسيرة الأنبياء الواضحة في القرآن الكريم ودورهم، بينما-السيستانية- نوع من التقية والغيبوبة في عالم سيستاني الضبابي الغريب كله حيث يخاف النور وانكشاف الحقيقة.

برغم أن السيستاني يعيش في النجف- العراق، لكن الملايين من الأخماس والأوقاف وما يسمى بالأموال الشرعية لا تذهب إلى مواردها الشرعية، بل إلى أرحام وأصدقاء السيستاني، الذين أتخموا بالملايين من حاشيته ووكلائه، ثمّ إيران حيث توجد مشاريع كبيرة ضخمة جدًّا في مدن مختلفة إيرانية، مثل قم برغم وجود مشاريع الحكومة هناك ومشاريع المراجع الآخرين، لا سيما الخوئي، لو كان سيستاني في إيران لكان حاله بسيطًا مجهولًا متواضعًا مع وجود زخم من المراجع الكثيرين في إيران مثل جواد التبريزي ووحيد الخراساني وفاضل اللنكراني وناصر مكارم وجعفر السبحاني وصادق الروحاني ومحمد تقي بهجت وتقي القمي ومحمد الشاهرودي وحسين نوري الهمداني وحسن القمي وعلي الكرمي، وغيرهم كثير، ويمتلك بعضهم كتبًا كثيرة، وتلاميذ معروفين، وتاريخًا فقهيًّا كبيرًا، عندها يتيه ويضيع فيها السيستاني، الذي لا يملك من ذلك تاريخًا أو كتبًا أو تلاميذ، كما أقرت المراجع العرب، فوجوده في النجف قد جعل له الأهمية والمكانة والتميز، بعد حصوله على دعم خارجي ودعاية إعلامية، وتحالف إيراني غربي مع الاحتلال، فذلك يجعله في الموقع الحالي والمشهور عالميًّا.

السؤال الذي يطرحه العراقيون والشيعة العرب عمومًا وبحق: لماذا يقوم السيستاني بمشاريعه الضخمة والكبيرة في إيران، خصوصًا دون العراق، برغم الحاجة الكبيرة والعظيمة للعراق الفقير والمنكوب وشعبه الفقير؟ حتى وصلت حدود الفقر إلى نسبة كبيرة تتجاوز ٤٠ بالمئة، حتى في مناطق الشيعة كالجنوب والوسط، وإذا طلب الفقراء مساعدات، فإن الذلة في حصولها كانت ملموسة من مكاتب السيستاني، وبعد إذلالهم لا يتم تقديم أي مساعدة، وفي أحيان قليلة تصل إلى دراهم معدودة، لا تغني ولا تسمن من جوع، والكل يشاهد يوميًّا الفقراء في الشارع، وحالة الاستجداء. بينما وكلاء السيستاني يتنعمون بأفضل البيوت والفلل والتجارات والعقود والخدمات والسفرات، وتلاحظ عرائسهم كأعراس الملوك في الترف والتبذير والإسراف.. لكن يبقى السيستاني وحاشيته تدافع عن الفاسد وتحميه، بل ربما تبعثه إلى مكان آخر: بصفته وكيلًا عامًّا للسيستاني، وما أكثر الفاسدين من حاشية السيستاني ووكلائه، وهي التي دفعت الكثير من شيعة العراق وغيره، لترك تقليد السيستاني.

إن السيستاني قام بمشاريع كثيرة وكبيرة ضخمة جدًّا في إيران، مثل (مجمع السيستاني) في قم الإيرانية على أرض تبلغ مساحتها حوالي ٤٠ ألف متر مربع في وسط المدينة، ويحتوي هذا المجمع على حوالي ٣٢٠ وحدة سكنية، بمساحات مختلفة، وتضم كلُّ وحدة سكنية منها كامل المرفقات الضرورية ووسائل التدفئة والتبريد، وما شاكل ذلك، وأهم ما يلحق بهذا المجمع السكني الكبير: سوق عصري تتوفر فيه مختلف الاحتياجات والمتطلبات اليومية الضرورية، وقاعات مختلفة وصالات لإقامة المجالس والاحتفالات للرجال والنساء، كل على انفراد، ونادٍ

رياضي ترفيهي كبير، وعشرات المشاريع السيستانية الأخرى، التي تناطح مشاريع الدولة والمراجع الآخرين، بينما العراق الذي ينعم به السيستاني فهو يخلو من أي مستشفى له أو مجمع أو مشروع كبير برغم حاجة العراق وشعبه المظلوم والمحروم.

الكثير من الشيعة العرب في الكثير من أنحاء العالم يعطون خمس أموالهم إلى السيستاني أو وكلائه في مدنهم، كما أنّ البعض يسافر من البحرين والسعودية والكويت والإمارات وعمان وقطر ومختلف أنحاء العراق ودول العالم، ليقدموا إلى زيارة الإمام علي في النجف (برغم أنه مات في الكوفة ودفن فيها)، ثم يأتون بخمس أموالهم، التي حصلوا عليها من كدّ يمينهم وأتعابهم إلى السيستاني أو ابنه محمد رضا بسبب الدعاية الكبيرة له، دون أن يسألوا: أين تذهب هذه المليارات؟ ويبقى الفقراء والمساكين، بينما التخمة لحاشية السيستاني ووكلائه، ويعود بنا السؤال عن مقارنته مع الأنبياء، ليجد العاقل بعد هذه المرجعيات عن الزهد والورع والتقوى والخدمات للناس.

نُسِب للسيستاني قوله بأن لا حاجة للإجازة في الخمس من رجال الدين، ويمكنه تسليمها مباشرة بدون واسطة رجال الدين. فنسأله كيف وصلت المليارات من الخمس إلى جيوب حاشيته وأصهرته وأبنائه ووكلائه، بينما يعاني الكثير من الفقر والجوع والحرمان، ونطالبه بإرجاع المليارات من الأخماس إلى أهلها ومستحقيها، ويمكن بسهولة معرفة ما وصل إليه هؤلاء بعد مرجعية السيستاني.

كما نطالب العقلاء بعدم إعطاء الأخماس إلى رجال ينسبون أنفسهم للدين، بينما هم يجعلونها في بيوتهم وحساباتهم وترفهم وطغيانهم، ولا يصرفونها على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولم يجعل الله هؤلاء وسطاء بينهم وبينه، فإن الكثير منهم رجال سوء ووعاظ السلاطين وعبدة التجار والدراهم والدنانير.

من أهم مشكلات مرجعية السيستاني: أنها فارسية إيرانية بامتياز، فإن ولاءها لإيران ونظام ولاية الفقيه الإيرانية والتنسيق الكامل والمتواصل بين محمد رضا سيستاني مع ولاية الفقيه (خامنئي)، من خلال ممثله في العراق محمد مهدي الآصفي (زعيم حزب الدعوة في مرحلة ما قبل إبراهيم أشيقر الجعفري)، وتدخلهم في أهم مفاصل الدولة.

لا زالت المرجعيات الفارسية تحتكر المرجعيات لأحقاب طويلة، وتم منع المرجعيات العربية الكفوءة على مر التاريخ، مثل محسن الأمين ومحمد باقر الصدر ومحمد جواد البلاغي ومحمد حسين فضل الله وهاشم معروف الحسيني ومحمد حسين كاشف الغطاء ومحمد مهدي شمس الدين ومحمد أمين زين الدين ومهدي الخالصي ومهدي الحيدري ومحمد رضا المظفر ومحمد سعيد الحبوبي وعشرات غيرهم.

اعتاد المراجع الفرس على وضع ألقاب طويلة لأنفسهم، بينما كان تواضع العرب وزهدهم يجعل المجال واسعًا للفرس، فمثلًا لو رأينا مرجعين متعاصرين عاصرناهما، هما محمد باقر الصدر (ت١٩٨٠) الذي يضع اسمه مجردًا من أي لقب إطلاقًا حتى على رسالته (الفتاوى

الواضحة)، وعلى جميع كتبه (فلسفتنا) (اقتصادنا) (رسالتنا) (البنك اللا ربوى في الإسلام) (الأسس المنطقية للاستقراء)، وكثير غيرها، بينما الخوئي الذي لم يفهم كتب الصدر كما اعترف، ولم يكتب في أي باب من تلك الأبواب: كالفلسفة والاقتصاد والاستقراء والتاريخ والاجتماع... فإن رسالته العملية الكلاسيكية التقليدية، هي نفسها ونفس عنوان من قبله (منهاج الصالحين) بتغيير بسيط في بعض الفتاوى، فإن ألقابه عليها كثيرة، وأولها: سماحة آية الله العظمى، وآخرها: دام ظله العالى. علمًا أن هذه الألقاب جديدة مبتدعة وخاطئة، فإن آية الله العظمى لا تصح إلا لرسول الله، ومن هو بمقامه، حيث رفضها القدماء، وابتدعها المتأخرون: مدحًا في ذاتهم، وحبًّا في ألقابهم.

كذلك السيستاني يمكن ملاحظة الألقاب الكثيرة العجيبة والغريبة، أمام اسمه على رسالته التقليدية الكلاسيكية (منهاج الصالحين)، التي تشبه من سبقه من الفرس برغم أنا لانجد له كتبًا في أي مجال إطلاقا، وهوالذي جعل الكثير من المرجعيات التشكيك في اجتهاده ومرجعيته، كما ذكر سابقًا.

لقد رأينا الحملات التسقيطية من مرجعية الخوئي الفارسية ضد المراجع العرب جميعًا، ومنهم محمد باقر الصدر الذي نقدهم في كتابه: (المرجعية الرشيدة والصالحة)، وهو يدعو إلى تحويل المرجعية من فردية فاسدة إلى مؤسسة رشيدة والاستفادة من الاختصاصات في مختلف الميادين، ومحاسبة ملايين الأخماس وحواشى المراجع. وبدأوا بإهانته في

المجالس العامة والخاصة، وتسميته بالوهابي والسطل والعميل، وفرحوا بمقتله عام ١٩٨٠ ووزّعوا الحلوى.

كانت مرجعية الصدر الثاني (تلميذ الصدر الأول وابن عمه المتوفى ١٩٩٩)، تحدثت مرارًا عن السيستاني وارتباطه بالنظام الصدامي البعثي، وتسميتها بالمرجعية الصامتة: صمت القبور والموتى، وكان ذلك واضحًا، ولا زال في يوتيوب الكثير من ذلك.

كما حارب السيستاني مرجعية محمد حسين فضل الله المرجعية العربية المتنورة المعتدلة المنفتحة على الواقع والحياة والمذاهب والآراء.

ومحمد حسين فضل الله من المراجع الشيعة العرب المتنورين، حيث نقد كثيرًا التكفير في التشيع الفارسي، كما رفض الغلو في الإمام علي وأولاده من أئمة أهل البيت، والمغالاة في فاطمة الزهراء في محادثتها الملائكة، ونزول مصحف فاطمة لها من السماء مباشرة: كوحى إلهي. ورفض الكثير من القصص المنسوبة لها، كما اعتبر الروايات مكذوبة في إسقاط جنينها محسن، وضرب الزهراء بالسوط، وقيادة علي بالحبل لبيعة الخليفة، كما يزعم الفرس. قال فضل الله: (إني لا أتفاعل مع الكثير، مما يرد عن كسر ضلع الزهراء وإسقاط جنينها... وذلك كله لا دليل عليه إطلاقًا)، ثم ذكر أن قبر الزهراء صار معلومًا وليس مجهولًا، كما ادعى. رفض فضل الله طقوس كربلاء في القصص الخرافية، والتطبير الصفوي، وقربة العباس، وعرس القاسم، وانتقد الفرس، واعتبره اتجاهًا فارسيًّا في السيطرة على التشيع وتشويهه.

أما اتهام السنة زورًا بقتل الإمام الحسين، فيقول فضل الله: (إن الشيعة هم الذين قتلوا الحسين بعد أن دعوه إلى كربلاء، فقد كان شمر من قادة جيش علي في صفين، ومن راسلوه وقاتلوه من شيعته)، وأن كربلاء شيعية، وهي التي دعته، وعندما وصل قرأ رسائلهم، ورسائل زعمائهم الشيعة، وهم في مواجهته، وقال لهم: (لم آتكم حتى جاءتني رسائلكم)، وهم الذين كانوا قلوبهم مع الحسين، وسيوفهم مشهورة عليه لقتله. وقد ترضّى مرارًا على الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان، ومدحهم صراحة، كما ترضى من قبل جده الإمام علي مرارًا في نهج البلاغة.

رفض فضل الله الطقوس الحسينية والممارسات المنحرفة، قائلًا: (إن الثورة الحسينية قد تحولت بفعل العواطف إلى تعذيب الذات بالصراخ والعويل ولطم الصدور وضرب الظهور وجرح الرؤوس.. وشرب الخمر للإحماء..وترك الصلاة..)، ورفض شفاعة الأئمة والنذر لهم والتوسل بهم، بينما دعا أهل البيت أنفسهم إلى دعاء الله مباشرة وبلا واسطة، فالله صريح بقرآنه في دعائه مباشرة: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد كان الرسول يدعوالله مباشرة، وعليكم الاقتداء به.

كما دعا فضل الله إلى الوحدة الإسلامية رافضًا الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة، كونها بدعة، ليست من الدين، قائلًا: (إني لا أرى إضافتها للصلاة أو مقدماتها، فإن ذلك يؤدي إلى مفاسد كثيرة)، ورفض الكثير من الطقوس الفارسية خصوصًا التطبير وإدماء الرؤوس وثقافة التكفير واللعن. قال فضل الله: إن الإمام عليًّا كان يحضر الصلاة جماعة خلفهم، وإن الإمام على بايع أبا بكر وعمر وعثمان)، (وإن الإمام عليًّا

قبل أن يكون مكان عمر عند ذهابه الى القدس إيمانًا بشرعية الخليفة، وأن الحسن والحسين قد رضيا بأن يكونا في جيوش الخلفاء، كما كان علي جنديًّا في حروب الردة تحت زعامة الخليفة الأول)، بشكل واضح وصريح، ومخالف للتيار الفارسي الصفوي وعقائده الغريبة.

رفض فضل الله تأويل آيات واختصاصها في علي وأهل بيته: كسؤال السائل: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾[المعارج: ١]، ﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٧] قصة إطعام الطعام ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]، ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد: ٧]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ٣٨]، ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٥]، كما أنكر نزول الملائكة على الأئمة، واتصالهم بالغيب وولايتهم التكوينية والتشريعية، وقال: (أنا من الناس الذين لا يرون الولاية التكوينية، لأن القرآن كله ينفي ذلك، ويؤكد أن النبي لا يملك من أمره شيئًا، إلا ما أمره الله بشكل طارئ، فليس للأنبياء تقديم وتأخير ما شاؤوا، والاستجابة لاقتراحات الناس، فليس لهم ولاية تكوينية ولا تشريعية)، (أما الولاية على الكون كلّه، فهي ليست من شأنهم ولا دورهم، لأن الله وحده الذي يملك الولاية الخالقية والفعلية على إدارة نظام الكون كله، وليس لأحد آخر غيره، كما لم يمارس الأنبياء، أي دور في ذلك في أي موقع من مواقعهم، حتى في الإعجاز إلا في موارد الإذن الإلهي الخاص، فلا يدفعون عن أنفسهم ضرًّا ولا نفعًا)، ولم يعد الإمامة والعصمة والولاية والخلافة من الأمور الثابتة ولا القطعية، بل (هي محل نقاش وجدل، ومن الأمور المتحولة التي تخضع

للاجتهاد والدراسة في التوثيق، وليست من العقائد الثابتة سندًا ولا دلالة، لذلك يعيش المسلمون الخلاف حوله)، ورفض التقية واعتبرها حجبًا للحقيقة، وشكك في القصص التاريخية، ومنها اسم الإمام الكاظم من هارون الرشيد، وكذلك قتل المأمون للإمام الرضا، واعتبر للزهراء ثلاث أخوات، منها زوجتا الخليفة عثمان بن عفان، واعتبر كثيرًا من الزيارات موضوعة، مثل زيارة الناحية عن المهدي المنتظر، كما رفض اللعن والسب والشتم للخلفاء الراشدين وزوجات النبي: عائشة وحفصة، وتحدث عن أخطاء الإمام علي في شرحه لدعاء كميل.

دعى فضل الله للوحدة الإسلامية بقوة فكرية وعملية، وتكلم في بيعة علي للخلفاء الثلاث، وقال: إن حديث أبي بكر عن النبي ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»[1] صحيحًا، وقد كان يلتقى بفقهاء السنة، وينسق معهم، ويفتي بمذاهبهم.

كان فضل الله رجلًا وحدويًّا، وعالج نقاطًا أساسية في التراث الشيعي، خصوصًا الإمامة والعصمة، حتى نقل حوارات بين أهل البيت أنفسهم، مثل قول فاطمة لعلي: (يا ابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين، وقعدت قعدة الضنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش الأعزل...)، كما نقل قول علي: (لاتزوجوا الحسن، فإنه مزواج مطلاق)، وهي تنقض ما يطرحه الفرس في عقيدة الغلو، وهكذا دخل

(١) صح عن عروة عن عائشة ﵂ وعن أبيها أنها قالت: إن النبي ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**». أخرجه البخاري (رقم ٦٧٢٥)، ومسلم (رقم ١٧٥٨).

في عمق إشكالية ما يطرحه الفرس اليوم، مما ورث عن الدولة الصفوية وغلوها وطقوسها.

يعد فضل الله مجددًا للفكر الشيعي، وتنويريًّا في النقد والتحليل والرؤية، حيث يرى حركة النص مع الواقع والحياة، لا جموده في انفتاح على العصر، وهو يسافر إلى أوربا وأمريكا، وهو يحاضر ويتابع نتاجها لذلك كان جريئًا في فتاواه وتحريمه لختان الإناث وجرائم الشرف والتطبير، وإدماء الرؤوس في قضية عاشوراء الحسين، وتحريم الطقوس فيما سماه البدع الفارسية الصفوية.

كان الفقهاء الفرس في إيران يقتدون بفضل الله في إمامة الجماعة، ويستقبلونه بحرارة شديدة، كما شهدتُ ذلك مرارًا، ولكنه بعد تصديه للمرجعية رفضوه أنفسهم، بسبب مزاحمتهم في السيطرة الفارسية والنفوذ، كما حصل للمراجع العرب، مثل باقر الصدر، ومحسن الأمين، ومهدي الحيدري، وكاشف الغطاء، وهاشم معروف الحسيني، وغيرهم على مر التاريخ.

وتعرض فضل الله لحملة ظالمة من الفقهاء الفرس، حتى افتوا بأنه ضال مضل، وشككوا في أصله ونسبه، ونظمت القصائد، وألفت الكتب وتصدرت حسينيات الثأر وخطباء وعاظ السلاطين، لاتهامه وإسقاطه بشتى التهم الباطلة لإسقاطه. ويمكنك مراجعة كتابين مثلًا: (الحوزة العلمية تدين الانحراف)، (ظلامات فاطمة الزهراء)، اللذين صدرا في قم، لترى الكم الهائل من الفتاوى الفارسية، ضد المرجع العربي فضل الله،

لتسقيطه، والتعبير عنه بأنه ضال مضل. صدرت عشرات الفتاوى ضد فضل الله، منها فتاوى جواد التبريزي، ووحيد الخراساني، وناصر مكارم الشيرازي، والقمي، والمرعشي، والخونساري، والبايـاني، واللنكراني، والكلبيكاني، وبناهي، والشاهرودي، والمدني، والسيستاني، وغيرهم. ما يهمنا الآن فتوى السيستاني، وهو يدعي أن آراء فضل الله هي تشكيك في العقائد الشيعية الحقة المشيدة، ولا تزلزلهان لأنها مبنية على أسس متينة، ويدعوالشيعة للوقوف ضدها، لأنها كما يعدها إساءة لضرورات المذهب والعقائد والمرجعية الدينية، كما يقول.

وواضح من المباني المعاكسة تمامًا لآراء فضل الله، هوالمتبنى من عقائد التشيع الفارسي الصفوي، الذي امتلأ بالفتاوى ضد فضل الله والمراجع العرب.

يدعى خط التشيع الفارسي بأن السيستاني وحاشيته على درجة عالية من الورع والزهد والخدمة... يوصلهم إلى درجة أعلى من الأنبياء والرسل والأولياء، حتى حصلوا على ألقاب مثل: (آية الله العظمى)، وأمثالها من البدع الجديدة، بينما الأحرى بها الأنبياء والرسل. تلك الدعاية الكبيرة الزائفة بسبب تكون إمبراطوريات وحواشى دينية وسياسية فاسدة جدًّا، لكنها منتفعة من تلك المرجعية، وتستغل عمامة السيستاني وعباءته ووصايته فيما وصلت إليه، برغم أنّ الحقائق على الأرض تثبت عكس ذلك تماما، فلستُ ممن يسبّح بحمد السيستاني، ويقدّسه ليلًا ونهارًا صباحًا ومساءً بصفته إلهًا مقدّسًا معصومًا.

السيستاني بصفته مرجعًا إيرانيًّا يقيم في نجف العراق، ويحمل الجنسية الإيرانية، ويرفض الجنسية العراقية، يمثل مرجعية صامتة، كما سمّاه الشهيد الصدر الثاني، ويمكن تسميته بالمرجعية الضبابية، فهو لا يتحرك بنفسه، حيث يكون الموقف ضبابيًّا غائمًا غائبًا، لا يظهر في إعلام أو حديث، ولا حتى خطبة جمعة أو جماعة، أو أي لقاء أو مقابلة، حتى شكّك البعض في حقيقته ووجوده وحياته، فهي تخالف بشكل صارخ حياة الأنبياء والرسل، كما تحدّث عنها القرآن بكل وضوح وصراحة. فيتحرك السيستاني عادة عن طريق حاشيته وممثليه ومعتمديه ووكلائه، برغم اختلافاتهم بعض الأحيان، وعندما يعترض على مواقفهم، سرعان ما يجيبون أنها لا تمثل مواقف السيستاني نفسه، وهي نوع من التقية، التي برع فيها المراجع الفرس لقرون طويلة، ولا زالت بعض الأمة ساذجة، تصدقهم وتغفل عقولها.

للسيستاني نجله محمد رضا (الإمبراطور)، وله أيضًا صهران، هما: مرتضى كشميري وجواد شهرستاني، وكلهم إيرانيون يحملون الجنسية الإيرانية والهوى الإيراني، وقد وزّع السيستاني العالمَ كلّه على صهريه، حيث يسيطر كشميري على الخليج العربي وأوربا وأمريكا، بينما باقي العالم لصهره الثاني شهرستاني في أخذ الأخماس وإعطاء وكالات، لرجال دين يتبعونهم والتصرف في المؤسسات والحسينيات والأوقاف وغيرها.

ثم حاشية السيستاني وأرحامه ووكلاؤه الذين سلّطهم على الأمة، وصاروا إمبراطوريات، يمتلكون المليارات، ويتحكّمون في السياسات المختلفة، هل يمتلكون شيئًا من الورع والعلم والزهد والإخلاص

والكفاءة، أم عكس ذلك تمامًا؟ وبمقارنة بسيطة واضحة قبل مرجعية السيستاني، أين كانوا؟ وكيف كانوا؟ فمن أين لهم هذه المليارات، وهذه السلطة والسطوة على حساب المواطن والنزاهة؟

الابن محمد رضا السيستاني (إيراني، لا يمتلك أي مؤهلات في تاريخه)، وهوالإمبراطور المقيم في النجف في بيت سيستاني، وأهل النجف يعرفون تاريخه، وهو أعلى سلطة لسيستاني ينسق مع ولاية الفقيه الإيرانية مع محمد مهدي الآصفي، (الإيراني ممثل خامنئي في العراق، وزعيم حزب الدعوة قبل إبراهيم جعفري الأشيقر)، المقيم جواره في نفس الزقاق، ويزوره السياسيون العراقيون وغيرهم، على أعلى المستويات. إنّ الكثير من السياسيين لا يلتقون بالأب، إلا ربما دقائق في طريقة تقبيل الأيادي (على الطريقة الفارسية البعيدة، التي ورد نهي النبي عنها)، بل اللقاء والاتفاق مع محمد رضا السيستاني، الذي لا يسمح لأحد أن يخلو دقيقتين بأبيه خوفًا من انكشاف الحقيقة، (مرجعية الظلام تخاف النور، لأنه يفضحها)، ثم يخرج بعضهم من بوابة السيستاني ليدلي تصريحاته الإعلامية، وأحيانا يدّعي دعم سيستاني له، كما صرح نوري المالكي مرارًا، حتى ادعى أن السيستاني لا يسمح له بالذهاب لوحده، حتى يوصله السيستاني بنفسه إلى الباب: تأييدًا وإسنادًا ودعمًا.

جواد الشهرستاني (إيراني صهر السيستاني)، المقيم في قم الإيرانية، وقد كان ضعيفًا مستضعفًا وسط الإمبراطوريات الإيرانية الكبيرة، فلا يسمح لأي مرجع بأن ينمو مشاريعه تحت ظل دكتاتورية ولي الفقيه واستبدادها، حيث نعلم أن الكثير من المرجعيات كانت تحت الإقامة

الجبريـة، حتى ماتت وربـما قتلت، مثل شريعتمـداري والخاقاني والقمي والكرمـة والروحـاني والشـيرازي وغيرهـم، حتـى إن مكتـب الصـدر الثـاني في قـم قـد أغلق واعتقـل أصحابـه... فكيف يسـمح للسيسـتاني بنموالمشـاريع ليناطح ولاية الفقيه ومشـاريعها، ورواتبهـا لرجال الدين برغـم عدم وجود مؤهلات علمية وحيثيـات فقهية وكفاءة تاريخية.. كما كان الشهرسـتاني مدينًا بأموال بسـيطة، لا يمكنه دفعها، فكانت نتيجتها أنْ دَخَلَ مستشفى القلب لديونه، (أسّس الشهرستاني مؤسسة آل البيت، التي تطبع الكتب من قبل رجال دين عرفوا بالطائفية والتكفير، مثل علي الكوراني) قبل مرجعية عمّه كان مدينًا فقيرًا ضعيفًا، ثمّ صار ممثّلا مطلقًا لعمه السيسـتاني في نصف العالم: كإيران وأفريقيـا وبعض الدول العربية وجنوب شرق آسـيا وغيرها، وعرف بسفراته الكثيرة، بطائرات خاصة، وبـذخ هائل، وموائد جبارة، ومصاريـف، كالملوك في التبذير والإسراف والفنادق والقصور، فمثلًا لندن قد يأتيها في الشهر مرتين، كذلك الكثير مـن دول العـالم مـع وفـد ضخـم ومصاريف عظيمـة، وهو يشـترك مع رحمه (حسـين الشهرسـتاني)، المعيّن من محمد رضا السيستاني، ليستحوذ عـلى وزارتي النفـط والكهرباء، والفسـاد العظيم فيهـما، ويتحدث بعض العارفين عن حصّة السيستاني في النفط والعقود.

يتسـاءل البعض عن أمثلة لفسـادهم وبذخهـم وإمبراطورياتهم... والحقيقة هناك أمثلة كثيرة جدًّا مشهودة ومعروفة، ولنأخذ منطقة واحدة محدودة فقط في إحدى مناطق لندن الفخمة المترفة برنت، والتي أصبحت

من أحياء عمائم المرجعية وعوائلهم، بعد أن فتحوا كنوز الأخماس، وأخذ أموال الناس والأوقاف.

فيها مؤسسة الخوئي الكبيرة (المرجعية الفارسية السابقة)، وقصر عبدالمجيد الخوئي، وعوائل الخوئي ومتعلقيهم، وقد بات أولاد وأحفاد وحاشية الخوئي، حتى بعد وفاته من الأثرياء جدًّا، كما هو معروف، وقد كتبت عنها سابقًا.

وفيها مدارس الخوئي مثل الصادق والزهراء الأهليّتين لأبناء المترفين من ساكنيها، ولا يسمح للفقراء أن يضعوا أولادهم فيها، لأن أقساطها عالية كما هو معروف، مع أن جوارها مدارس إسلامية ليوسف إسلام (بريطاني مغنّي أعلن إسلامه) يمكن للفقراء الدراسة فيها، فشتان بين المرجعيات الفارسية الشيعية، والمدارس السنية ليوسف إسلام وأمثاله..

وفي المنطقة نفسها في لندن قصور العمائم الفارسية والنجفية المتفرسة.

ثم مؤخرًا، ازدانت المنطقة ببركات السيستانية، حيث انضمت إليها فيلات مرتضى كشميري، وجواد شهرستاني، صهري السيستاني وحاشيته.

لقد اشترى جواد شهرستاني (صهر السيستاني) فيلا عظيمة في قلب لندن (شارع صهري سيستاني) كما هو معروف.

كما اشترى مرتضى كشميري (الصهر الثاني للسيستاني) فيلته بلندن من أموال الخمس هناك (في شارع صهري سيستاني).

رأيتُ مرتضى الكشميري في دبي قبل مرجعية عمه سيستاني، وهو رجل دين بسيط من الدرجة العاشرة لا يمتلك أي مؤهلات علمية أو غيرها يقرأ قصة كربلاء والمأتم الحسيني بطريقة غير علمية وغير حضارية، وهو يزرع الكراهية ضد الخلفاء الراشدين، لا سيما عمر بن الخطاب وزوجات النبي لا سيما عائشة. رأيته كان يتوسّل بأحد أرحامي الوجهاء في دبي حتى يقرأ مجلس عزاء حسيني، لأنه بحاجة إلى بعض الدراهم، لكنه رفضه لأنه كشميري لا يفهم ولا يقرأ، فقط يثير القصص التي تثير الكراهية والبغضاء والتكفير للسنة المسلمين، أوشك كشميري النزول على يده لتقبيلها، أملًا في الحصول على بعض الدراهم لحاجته إليها. واليوم بات كشميري يمثّل عمّه سيستاني في الخليج العربي وأوربا وأمريكا، ويجمع الملايين من الأخماس والعقارات والصفقات من الحقوق الشرعية برغم بخله وعدم مساعدته للفقير والمسكين والمحتاج، بل يذهب إلى بيوت التجار لأخذ الأخماس وتجميعها، كما يذكر العارفون القائلون: إنّ عقارات كشميري في دبي والإمارات وغيرها لا تعدّ ولا تحصى، حسب بعض المقيمين هناك، ولا زال بيته الكبير الحالي في أرقى منطقة الجميرة في دبي هي شاهد حي تكشف عن الملايين، التي بات يمتلكها هؤلاء من أموال الأخماس وأمثالها ظلمًا وزورًا، لم نعهده في السيرة والتاريخ والقرآن أبدًا.

كما اشترى زهير كشميري (صهر مرتضى كشميري) فيلا كبيرة وعظيمة في المنطقة نفسها.

ويمكن ملاحظة الكثير من وكلاء سيستاني الفاسدين، وتلاعبهم بالملايين، وإمبراطوريتهم اليوم ببركة المرجعية.

مثلًا في كربلاء توزعت العتبتان الحسينية والعباسية على عبدالمهدي الكربلائي وأحمد الصافي، ولا معتمد للمرجعية في النجف. عبدالمهدي هو معتمد سيستاني في كربلاء، فإن أهل كربلاء يعرفون تاريخه وعدم امتلاكه شيئًا قبل مرجعية سيستاني، وكيف أصبح اليوم.

أما أحمد الصافي فليس بأحسن حالًا في تاريخه في قم الإيرانية وإمبراطوريته اليوم.

حسين إسماعيل الصدر الذي كان وكيلًا بسيطًا لسيستاني مع عدم مؤهلاته العلمية، ولا يحسن من القرآن شيئًا بات مرجعًا، يمتلك المليارات، ويسيطر على العتبة الكاظمية، والذي ذكره بريمر بصفته وسيطًا مع سيستاني، وعرف بمقابلاته وعزائمه لبريمر وكولن باول، وبات يمتلك المليارات والمؤسسات منها في لندن بيت السلام والحوار الإنسانى بملايين الجنيهات البريطانية، ولم يكن يمتلك شيئًا قبل ٢٠٠٣ فمن أين له هذه المليارات؟

لو جئنا إلى مرجعية عربية عراقية، مثل محمد باقر الصدر (ت١٩٨٠)، فإنه عاش فقيرًا زاهدًا، لم يمتلك عقارًا أو منزلًا، كما لم يخلف لأولاده وأرحامه غير ديونه.

*****

التحالف الغادر (بين إيران وأمريكا وإسرائيل) والأكذوبة الكبرى

في كتابي (التشيع العربي والتشيع الفارسي) تتضح الصورة جلية في علاقة اليهود بالإيرانيين منذ عاصر غابر وحتى يومنا هذا. فقد كانت الأفكار الشيعية الأولى: كالإمامة والعصمة والغلو لأول مرة تظهر على يد اليهودي عبدالله بن سبأ إلى الغلاة الفرس، الذين أحاطوا بالأئمة، وكانوا على صلة باليهود للتعلم على أيديهم السحر والشعوذة والتحري حيث وضعوا مئات الأحاديث المكذوبة المدسوسة ... وهكذا حتى يومنا المعاصر في تحالف غادر بين إيران وأمريكا وإسرائيل.

لا زالت أكذوبة كبيرة أخرى تعيش في بعض الأوساط عن المقاومة والممانعة في عداوة إيران لأمريكا وإسرائيل برغم أن المتأمل يرى خلاف ذلك، وقد صرح المسؤولون الإيرانيون: (لولاهم ولولا تعاونهم لما استطاعت أمريكا التخلص من النظامين العراقي والأفغاني). وفعلًا كان نظام صدام ونظام طالبان من أشدّ مناوئي نظام الملالي في إيران وولاية الفقيه. كما يكشف ذلك بوضوح المحاضر الجامعى د. تريتا بارسي في كتابه (تحالف الغدر بين إيران وإسرائيل وأمريكا)، وفيه عشرات الوثائق، لأن المؤلف وهو يدرس في جامعة جونسن الأمريكية، وهوالقريب من

الكونغرس ومراكز القرار، قد التقى بأكثر من ١٣٠ شخصية مهمة من أصحاب القرار في الدول الثلاث، وقد كشف عن فضائح، مثل إيران غيت، وبيع الأسلحة إلى إيران إبَّان الحرب ضد العراق، وشراء إسرائيل النفط الإيراني لإطلاق أسراها في لبنان، ومساعدة إسرائيل في تطوير الصواريخ لضرب العراق، والمحادثات للمسؤولين الكبار الأمريكان، وإخبار أحمد خميني أباه في تفاصيلها، وعشرات المصادر والوثائق والأدلة كانت الأكذوبة باسم الله والدين، حيث استغلال الدين مرارًا في التاريخ لمصالح شخصية في الإبادة والقتل والإكراه والظلم والعدوان، ومنها استغلال الشاه إسماعيل الصفوي الذي حكم الدولة الصفوية عام ١٥٠١م، قاد حملة واسعة لتطهير السنة، وإحلال المذهب الشيعي، وإدخال تحريفات مع وعاظ السلاطين، خصوصًا الطقوس التكفيرية الغريبة، والثأر من الأمة السنية، وهو يلعن الخلفاء الراشدين وسط السوق المركزي، ويسير خلفه الفقيه المجلسي الأصفهاني مقدسًا له، ولاعنًا وسابًّا للخلفاء والسنة، كما كان يتصل بالغرب، متحالفًا لضرب العثمانيين السنة، ويتمنى غزوالجزيرة العربية، هو من جهة الشرق والبرتغال من جهة الغرب، وامتدت الدولة لتحتل العراق، وتمارس الإبادة البشرية والطقوس الفارسية، كما هوالحاصل في عراق اليوم الجريح والمستباح من الفرس ومرجعياتهم الدينية والسياسية، وترهيب العرب بين القتل والسجن والخطف والتهجير في أحقاد تمتد إلى عصر الخلافة انتقاما من القادسية وكسر كبرياء كسرى ويزدجر عن طريق طقوس تستغل الدين للثأر من العرب وقياداتها التاريخية وتراثها ومصادر قوتها.

كان خطاب حسن نصر الله الأخير مقززًا جدًّا وبعيدًا عن الموضوعية، وهو يدافع عن الجلاد بشار الأسد، ويؤبن رموزه في خلية الأزمة المسؤولة المباشرة عن المجازر اليومية للشعب الضحية في آلاف الشهداء والضحايا، بشكل لا يقنع عاقلًا حرًّا أو مواطنًا شريفًا. انكشفت أكذوبة المقاومة وبلدان الممانعة، التي عاشت عليها أنظمة مستبدة قاهرة لشعوبها لأوقات طويلة كنظام الأسد، الذي لم يطلق طلقة واحدة، ولم يرسل مقاتلًا واحدًا لتحرير الجولان. وكان الوالد حافظ الأسد قد أسّس دولة بوليسية مستبدة، قامعًا شعبه بالحديد والنار، ومنها مجازر حماة حية شاهدة في ذاكرة السوريين، أما المجازر اليومية في الثورة السورية المعاصرة، فقد فاقت مجازر أبيه برغم أنه الطبيب المتخرج من جامعات لندن مع زوجته أسماء، والذي غيّر الدستور من أجله، وقدم بعنوان مشروع الإصلاح، وأكذوبة الإصلاح هي كأكذوبة المقاومة، والممانعة التي يعتاش عليها، كما تعتاش عليها إيران الفارسية، بمطامعها التوسعية وإمبراطوريتها الكسروية مع الأنظمة الطائفية العنصرية والهلال الفارسي، كما تعتاش على نيابة المهدي المنتظر، كما عاشت الحرب العراقية الإيرانية، وأطالت الحرب ثمان سنوات وشعارها الكاذب: (تحرير القدس يمر بكربلاء)، و(ظهور المهدي بات أقرب من لمح البصر) في خطب الجمعة وحسينيات الثأر، وكتابات بارزة، ورجال دين من وعاظ السلاطين. كانت الشعوب العربية تعيش أكذوبات كبيرة: منها انتصار عبدالناصر في ١٩٦٧، وهو يسمع أحمد سعيد في إذاعة صوت العرب من القاهرة باندفاعات عاطفية وانتصارات واهمة، ثم تبين كذب ذلك كلّه، والخسارات الكبيرة حتى طلب عبدالناصر التخلي عن جميع مناصبه

الحزبية والسياسية، والانضمام إلى الشعب، وهي مسرحية، أراد كسب عواطف الشعوب، ليبرر الهزيمة، ويبقي نفسه زعيمًا أوحد. وكذلك انتصارات صدام حسين بوصفه زعيمًا للأمة العربية، فيغزو دولة عربية كريمة مجاورة، أعانته في الحرب ضد إيران الغاشمة، فيشق العرب نصفين، ثم يبقى الزعيم الذي لا يقهره العالم كله، كما يزعم الجاهلون حتى في حربه مع القوى العظمى عام ٢٠٠٣، وادعاء قتل آلاف الأمريكيين وانتحارهم على أسوار بغداد، والعرب يستمعون بعواطفهم وليس بعقولهم للصحاف وزير الإعلام العراقي، وهو يستعمل ألفاظًا يحار الصحفيون بفهمها إلا في المعاجم، وتدخل العالم الجديد: كالعلوج، وإذا بدبابتين تقتحم بغداد، ويسقط النظام، ولم يظهر العسكريون، ولا المتطوعون، ولا، ولا.. ثم تبرر الأكاذيب بأكاذيب جديدة. كذلك نظام الأسد الذي يدعي العروبة، وقد حطم العروبة بتحالفه مع أعدائها، ويدعي المقاومة والممانعة وهو يبيد شعبه، وأكذوبة نصر الله وأسطورة حزب الله، وهما يدافعان عن الأسد ضد شعبه السوري البطل... ولا أعلم أي انتصار يحققه الجلاد والقاتل ضد شعبه في ثورة تستمر عدة سنوات، وتقدم القرابين تلو القرابين تخلصًا من طاغية قل مثيله، وهو يبيد المدن والجامعات بالدبابات والصواريخ ومختلف الأسلحة... استيقظت الشعوب مرة جديدة، لتكتشف أكذوبة الممانعة والمقاومة لنظام الأسد، وأكذوبة نصر الله، وأكذوبة ولاية الفقيه، وهو يقمع شعبه المنادي بالملايين: (يسقط الدكتاتور)، وتزوير الانتخابات، وقمع المعارضين، وقتل الآلاف، وهجرة الملايين، بحثًا عن كرامة وحرية ولقمة عيش.

كما هي كثرة الأكاذيب في العراق، منها تبرير الغزو بأسلحة الدمار الشامل، أو علاقة النظام بابن لادن وأحداث سبتمبر، كأكذوبة تدمير الدولة والبلاد والجيش بأنه تحرير، أو أكذوبة الديمقراطية، كأكذوبة البرلمان العراقي، الذي لم ينجح فيه سوى ما يقل عن عشرين شخصًا، بينما يصعد ٣٢٠ بامتيازات ورواتب وجوازات دبلوماسية وأراضي وسيارات وتقاعد، لا مثيل لها، وأكذوبة أن حزب الدعوة الحاكم وأمثاله يمثلون الشيعة، بينما لا يمثلون إلا مصالحهم الشخصية والحزبية، وها هم الأكثرية الفقيرة المسحوقة من الشيعة العرب، ومناطقهم الفقيرة والمحرومة من أبسط الخدمات: ماء وكهرباء وأمنًا، كما أنه في الطرف المقابل، فإنّ طارق الهاشمي وصالح المطلق لا يمثلان بحالٍ من الأحوال السنة المحرومين والمطاردين والمجتثين المهمشين بين السجون والتعذيب والهجرة، وغيرها في مشروع تشيع فارسي للعراق، وتغيير ديمغراقي كتشيع المناطق والحسينيات والأوقاف، ومنها الاستيلاء على أوقاف سامراء بدعوى فتوى «الاستنقاذ»، وغيرها من العناوين الفارسية، ونعم ما قال الشاعر:

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرّف

أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف

عرفت هذه الأكاذيب بعد خداعها للناس في أكذوبات تاريخية كثيرة، كانت ولا زالت في مراحل حساسة، استغرقت زمنًا طويلًا.

هكـذا كان تحالف الشـيطان الغـادر بين إيران وأمريـكا وإسرائيل، وهكذا كانت بعض الأكاذيب الكبرى في اسـتغفال الأمة، واسـتغراقها، وتخديرها بشعارات براقة خادعة، ورموز كاذبة خادعة.

فمتـى تسـتيقظ الأمـة مـن سـباتها، لتكتشـف الأكذوبـة الكـبرى، وتحالفـات الشـياطين، وتعـرف الوهم من الحقيقـة، و(**المـرء لا يلدغ من جحر مرتين**)[1]، فكيف بمن لدغ مرارًا وتكرارًا، ولا يعد وهو يرفع رموزًا تسـتغله، وبأحلى العناوين، وأقدس الأسماء والصفات، فلا يوجد أقدس من الله، وهم يستغلونه باسمهم، والله برئ من كل ذلك الاستغلال، لأنه يقول في القرآن الكريم ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].

*****

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**». أخرجه البخاري (رقم ٦١٣٣)، ومسلم (رقم ٢٩٩٨).